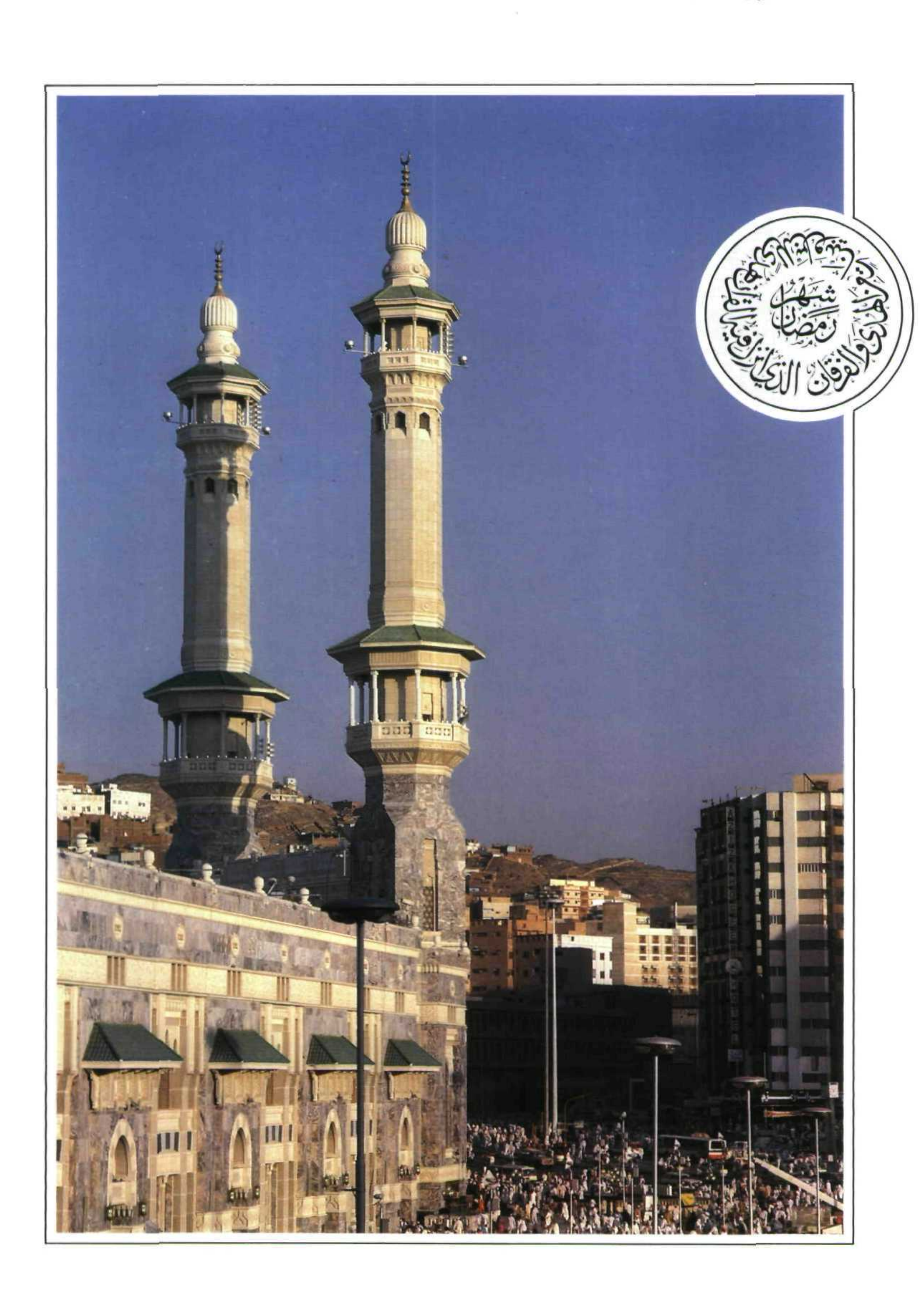
القافلة

رمضان ١٤٠٧هـ ابريل/مايو ١٩٨٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

THE CARAVAN-APR./MAY 1987

رمضان ١٤٠٧هـ ابريل/مايو ١٩٨٧م
العدد التاسع/المجلد الخامس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك


المعادن .. أزهار الطبيعة الصلبة


مراكز التدريب والاعداد المهني في المملكة مصانع للمهارات


البحر الميت وتشكيلاته البلورية

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية

طباعة شركة مطابع المطوع الدمام - المملكة العربية السعودية
Printed by Al Mutawa Press Co., Dammam, Saudi Arabia

بعض ما أودع الله في الانسان

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر / الرياض

يقول الله جل وعلا: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾. في جسم الانسان عجائب، وفي هذا الكون غرائب فالانسان نفسه واحد من عجائب قدرة الله، وعجائب الله كثيرة فيما ندرك وما لا ندرك. والانسان هو أدق الكائنات صنعا. وأكثرها فعالية. وأصحاب الاختصاص من أطباء وغيرهم تقصر جهودهم عن الوصول للأسرار العجيبة التي يحتويها جسم الانسان: دقة صنع، وإحكام عمل، ومعامل تشتغل الى غير ذلك مما يعجز عن كنهه الانسان، ويقف فكره حائرا امامه، وهو الذي اختصه الله بالفهم والادراك عن سائر المخلوقات.

فالانسان لم يكن مجيئه لهذه الحياة من باب المصادفة، ولم يكن خلقه قد جاء عبثا ولهوا، بل جاء لحكمة وبقدرة عظيمة هي قدرة الله العلي العظيم الذي أوجد هذا الانسان لهدف نبيل وغاية عظيمة هي طاعة الله وعبادته.

وقد رد الله على العلمانيين القدماء، والعلمانيين المحدثين، الذين لم يعرفوا هدفهم في الحياة، ولا كنه هذا الجسم ووظيفته التي خلق من اجلها فقال عز من قائل: ﴿**أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون**﴾.

فالله سبحانه خلق الانسان لعبادته وطاعته، وشرفه بالكمال الجسماني والجمال والتناسق بعكس ما يقوله أصحاب نظرية داروين: «النشوء والارتقاء».

فقد جاء في الحديث القدسي: «**ابن آدم خلقتك لأجلي وخلقت كل شيء لأجلك**». ولذا أودع الله في الانسان أمورا عديدة في جسمه ومقدرته وعقله وقواه وحواسه، لتكون معينة له على فهم ما حوله، وليكون قادرا على الفهم والادراك والتحمل، وذلك لكي يستعمل ذلك في الهدف الاساسي الذي جاء للحياة من أجله.

والتحدث عن جزئيات ما في جسم الانسان من اسرار وغرائب، يستوجب حيِّزا كبيرا، لكننا هنا سنشير الى لمحات تعجَّب الناس منها في مخترعاتهم، وهي جزء من جسم هذا المخلوق العجيب.

فمكبرات الصوت استحوذت على مشاعر الناس فترة من الزمن، بيد أن حنجرة الانسان والحبال الصوتية في حلقه هي أكثر دلالة وأغزر عمقا في المعنى والوضوح.

وآلات التصوير التي دخلت حياة الناس لنقل الصور والمناظر على طبيعتها جاءت مستوحاة من عين الانسان وانعكاس النظر وطبع الصورة في الذهن.

والأشرطة المسجلة من مسموعة ومرئية بالصوت والصورة تعتبر من مبتكرات هذا العصر، هي جزء مما يختزنه الانسان في ذاكرته، وتعبر عنه احاسيسه وترصده عيناه. فهي مستوحاة من جسم الانسان وما فيه من غرائب.

كما أخبر الله ان جسم الانسان: يدا ورجلا وجلدا وعظما، سينطقها الله لتشهد على صاحبها يوم القيامة بما فعل، ويتم الحوار بينها وبين صاحبها في معجزة لا ندرك كنهها حيث أنها تدرك وترصد في الحياة الدنيا، شبيهة بما ندركه في حياتنا الحاضرة من أجهزة الترصد الحديثة قال الله تعالى: ﴿**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء**﴾.

ولما اختار الناس لكثرة البشر على وجه الأرض وتشابه وجوههم لم يجدوا ما يميز انسانا عن انسان الا ببصمات الاصابع كما يلمس هذا من آية في سورة القيامة.

أما عن المعامل التحليلية فقد فاق البنكرياس والكبد مع صغرهما أكبر مصانع العالم دقة في العمل، وسرعة في اخراج النتائج، وتوزيعا للجسم بما يحتاجه من امور ضرورية كثيرة ومتباينة، فقد ذكر أحد الباحثين أن في الكبد أكثر من خمسين وظيفة مع صغر حجمها ودقة عملها.

وفي الاتصالات والاشارات يفوق الجهاز العصبي، والمخ أدق الأجهزة الحديثة سرعة في العمل، ودقة في التنبيه، مع سرعة في التبليغ.

لقد قرأت بحثا منذ أكثر من عشر سنوات بأن احدى الكليات العلمية في جامعة اكسفورد أرادت عمل بحث عن امكان ايجاد بديل للجهاز الهضمي للانسان وجندت طاقاتها. وبعد فترة خرجت بنتيجة مفادها أن هذا الجهاز الصغير في بطن الانسان وطوله من الخارج حوالي ١٥ سنتمترا لن تقوم به الا أجهزة لا يقل طولها عن ٧ كيلومترات،ومع هذا لن تؤدي المهمة بدقة مع باهظ التكاليف واحتمال العطل المتكرر في هذه الآلات او الطاقة الكهربائية التي تشغلها.

هذه بعض الأسرار العامة لأجهزة نحسها ونلمسها في جسم الانسان، اما الجزئيات فهي كثيرة ومتعددة، ويقف الانسان حائرا أمامها. خذ مثلا العظام ومرونتها بالمفاصل. والعجيب فيها

مرونة اليدين واصابعها ومفاصلها، في تناول الأشياء المتناهية في الدقة مما لا يتأتى مع الحيوانات الكثيرة أو الطيور مع أن عظامها أصغر. وغير هذا مما يدعو للتبصر والعبرة، وربط ذلك بقدرة الخالق سبحانه الذي أمرنا بالتفكر والاعتبار. فسبحان الخالق ما أعظم صنعه، وأبلغ حكمته.

كما نجد لدى الانسان قدرات: في الفهم والادراك والتحمل. وهذه القدرات هي جوهر الانسان التي يدرك بها مهمته في الحياة. وهي من أدق ما اودع الله في جسم الانسان. فقدرة الفهم يستوعب بها الخير وما يؤدي اليه من مداخل وتشريعات، ويعرف بها الشر وما يرشد اليه من تحذيرات ونواه.

فبالفهم الصحيح يتميز الانسان عن سائر المخلوقات من جمادات وحيوانات حتى اعطاه الله العقل الذي يميز به الأمور، ويوازن بين الأشياء.

ومن هنا نلمس الخطابات الكثيرة لهذا العقل في كتاب الله عز وجل، وهدي رسوله الكريم ﷺ. ومدى الاهتمام به، لأنه موطن التعقل والفهم. وهو ما اختص الله به الانسان بين سائر المخلوقات. فاذا لم يستعمله الانسان فيما يفيد ووفق شرع الله الذي شرع لعباده فانه يتحول لدرك الانعام كما أخبر الله في كتابه الكريم ﴿**اولئك كالأنعام بل هم أضل**﴾.

أما قدرة الفهم فهي التي يوجهها العقل، وهي نتيجة للتمحيص والتدقيق. فالعقل السليم هو الذي يدرك الأمور حسب منطلقها الذي وجهت اليه بالنص التشريعي، فتدرك النفس بذلك اسرارها وفوائدها لتزداد تمكينا، وتعرف السر الذي من أجله سيق هذا النص وابعاده في حياة الفرد والجماعة.

فكل امر أدركه العقل، وتمكن من جوانحه فان النفس ستندفع اليه رغبة في العمل واهتماما في التطبيق، ومدافعته عما يؤثر فيه.

ثم يأتي بعد ذلك التحمل وهو فعالية النفس ودفعها للصبر على ما بلغت به، وتوطين النفس على ذلك والوقوف ضد المؤثرات التي تمس ذلك الأمر، سواء كانت هذه المؤثرات جسمانية أو نفسية، أو في المجتمع المحيط بالانسان بثقافاته المتعددة. ولذا كانت قدرة الانسان في التحمل امكن من غيره.

فالآية الكريمة ﴿**أفحسبتم انما خلقناكم عبثا**﴾ والتي جاءت بصيغة الاستفهام الانكاري على أصحاب الزعم تقرر جوابها آيات أخرى من سور القرآن وبصفة خاصة في سورة الذاريات، حيث يتجلى السبب الحقيقي لخلق الانسان.

فما أودع الله في الانسان من قدرات يجب أن يسخرها لهذا المفهوم الذي يربطه بخالقه عبادة وتعلقا. لأن مهمة الانسان في الحياة نحو ربه وعلاقته به اعتقادا وعملا هي المرتبة الأولى. فالتفكر من العبادة التي أمرنا بها حيث جاء في الأثر: تفكر ساعة خير من عبادة سنة. وما يتبع ذلك من مهمات وأعمال دنيوية: كالعلم الدنيوي وبناء الحضارات، فهو من مكونات الحياة والأمور المنظمة لها، وهي أمور اذا أحسن توجيهها معينة على المهمة الاساسية بل بحسن النية والصدق في القول والعمل، وقصد نفع الناس مع رضاء الله، قد تتحول الى أعمال تعبدية يثاب عليها الانسان.

وهذا جزء من مهمة العقل في الادراك والعمل، ذلك أن كل ما في الكون خلق لمصلحة الانسان، وتكوين متطلبات حياته، لكي يستثمره فيما فيه نفع لنفسه أولا ولمجتمعه ثانيا. ألم يقل رسول الله ﷺ من حديث في الصدقة: «**وفي بضع احدكم صدقة**» قال الصحابة يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته يكون له فيها أجر؟. قال «**أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه فيها وزر وكذلك اذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر**» متفق عليه.

فسر وجود الانسان وما أودع فيه من أسرار وعجائب توازن جسمه وعقله وقدرته، هذا هو الذي أعطى للحياة طعما، وجعل لها طلاوة. ويؤكد ذلك الطعم الايمان بالله وبكتبه ورسله وملائكته وبالقدر خيره وشره، مع الايمان باليوم الآخر، يوم الجزاء والنشور، يوم يحصل ما في الصدور ويبعثر ما في القبور. فان الانسان يدرك هذا بحاسة العقل والفهم التي هي قدرة عظيمة جعلته مكلفا قادرا، ومصدقا مؤمنا، وواعيا لما في التشريع من واجبات يجب أن تؤدّى.

فمن لم يستعمل عقله من بني البشر، ولم يدرك السر الذي جاء للحياة من أجله وما تدعوه اليه عقيدة الوحدانية بالله من عمل كثير في سبيل الخير ومساعدة الآخرين، وبذل المعروف رغبة فيما عند الله، فانه سوف يتخبط في مسيرته، ويتيه في لجته وتلمسه.

فالدهريون مثلا قالوا: «**ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر**» والماديون يرونها مقاييس بما يعهدون في حياتهم التي لم ترتبط بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا. والجبابرة تعمى أبصارهم وتقسو قلوبهم فلا يعرفون لأنفسهم هدفا في هذه الحياة الا نوازع النفس والرغبات الانانية حيث أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار**﴾.

والعلمانيون يرونها نظريات معهودة لديهم فيعرفون اسرار ما حولهم ويغفلون عن ربطها بالعقيدة وقدرة الله وما يجب عليهم نحوه كما قال تعالى: ﴿**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾.

فالأسرار والعجائب التي اودعها الله في جسم الانسان، وهي كثيرة وعميقة الجذور في الفهم والادراك، يجب على الانسان أن يستعملها في الفهم والتعقل والادراك، والعمل والتذكر فيما يربطه بخالقه، ويعرف ان لكل نعمة ضريبة، وانه قد انعم الله عليه بها ليستعملها فيما يقربه منه. فالنعم الكثيرة والدقيقة ذات وظائف ومهمات يجب أن تدرك، وأعمال يجب أن تؤدّى نحو النفس ونحو المجتمع. وهذا ما يميز المسلم عن غيره، ويميز الانسان عن الحيوان الذي يكلف بشرع ولم يطالب بعمل □

أبيات الفرار في «واحر قلباه» للمتنبي

بقلم: د. فضل بن عمار العماري / جامعة الملك سعود

ستظل العلاقة بين سيف الدولة والمتنبي مثار كثير من الاسئلة التي تدور الاجوبة المتعددة حولها ولكن من دون التوقف عند واحد منها. ان علاقتهما ليست علاقة عادية تموت بموت السبب المباشر لوجودها بل هي علاقة انسانية امتزج فيها الحب والاعجاب كل بالآخر. وكانت قصائد الشاعر في أميره من الجودة والروعة بحيث كانت الأجيال المختلفة تعتبر ديوان المتنبي، وهم بالتأكيد يعنون في الغالب «سيفياته»، أحد الأسس التي عن طريق حفظها يبلغ المتعلم درجة عالية من الثقافة والتحصيل. كانت اشعار الشاعر منذ أن اتصل بممدوحه تسير في خط واحد دون تلكؤ أو تضعضع وقمتها فيما أحسب قصيدته التي مطلعها:

على قــدر أهــل العــزم تأتي العزائــم
وتأتي على قــدر الكــرام المكــارم

ولكن فجأة، ومن دون سابق تهيؤ يرتفع صوت الشاعر المتعالي المترفع وهو يصدر الآهات والأنات في قصيدة من أشد القصائد مأساوية في الشعر العربي — انه انكسار العملاق وتهاوي الصرح الشامخ العتيد. ونجد في هذه القصيدة الموجب والسالب «المتنبي محبا مفرطا في الحب، وسيف الدولة منصرفا صادا عن الحبيب، انشراخا وتصدعا في علاقة تعالت على الماديات وارتقت الى مصاف الحب الصوفي للذات المجردة، وتسير القصيدة من مطلعها حتى نهايتها في تلك الثنائية المريرة عارضة الفاجعة التي لم يكن أحد يتوقعها لمحبين اشتركا في شتى الخصال واتفقا في المزاج والرؤية، وكان المتوقع أن تستمر تلك العلاقة لتكون مضربا للوفاء والود الخالصين، ولكن يفترق الشعريان وان تبكي الغميضاء اختها الشعرى العبور وان يصبحا رمزا للفرقة والخلاف».

وقبل التركيز على نقطة استوقفت عددا من الباحثين وبدت غامضة في ذاتها، الا وهي ابيات الفرار التي جاءت في القصيدة، يحسن بنا أن نلج القصيدة لنتعرف الى شيء من أسرارها.

مدخل عام للقصيدة:

فجأة ومن دون سابق مقدمات يصدمنا المتنبي بصرخته الفاجعة معلنا عن موقفين متناقضين:

* موقف المحب العاشق الذي أضناه الحب وآلمه.
* وموقف الصاد الغاضب الذي لا يعير اهتماما لمن أحبه وتفانى في حبه:

واحــر قلباه ممــن قلبــه شبــم
ومــن بجسمي وحالي عنده سقــم
اعيذهــا نظـرات منك صادقــة
ان تحسب الشحــم فيمــن شحمــه ورم

غريب هذا الحب غير المتكافىء، بل الأكثر غرابة ان يفنى شخص ما في حب آخر، ولا يكون هذا الحب الا وبالا وشرا عليه منه (اعيذها). عدوانية يكنها سيف الدولة للمتنبي ومحاولة للانتقام حتى من الرجل العليل، ويا للكارثة، ممن يأتي الانتقام؟ انه يأتي من محبوب لم تكن علة حبيبه الا منه.

وخلال هذا الموقف المتناقض كلية، هنالك تفرعات لكل منهما. فالمتنبي يحب سيف الدولة أو بمعنى آخر يعشقه من خلال التوحد معه في الرؤية والهدف. وفي مقابل هذا الحب الصادق العنيف من فرد واحد لم يبح بحبه وهو حب غير مدرك من الطرف الآخر، هنالك حب زائف مصطنع من مجموع ضخم من الناس، والطرف الآخر، يقر هذا الحب ويعترف به.

ما لي اكتِّم حبا قد برى جسدي
وتدَّعي حب سيف الدولة الأمــم

ولكن لماذا هذا الموقف غير المتكافىء؟ بل لماذا وصفنا حب المتنبي بأنه عشق؟ ان النقطة الاولى في علاقة الرجلين هي الاعجاب، اعجاب الشاعر بمحبوبه، فهو قد عشقه عشقا صوفيا، أي أن هذا العشق جاء من خلال رؤية محددة وواضحة يطلبها المتنبي فهي انعكاس لنفسه، انها كما قال:

فكان احسن خلق الله كلهــم
وكان احسن ما في الاحسن الشيم

والشيمة جمعها شيم، من صفات العربي البدوي الخالص العروبة والخالص البداوة: إنها تعني المروءة، والمروءة او الشيمة،

تتضمن خصالا التصقت بالعربي البدوي قبل ان تستغرقه الحضارة: انها تعني الكرم والشجاعة والإباء، وأصالة النسب، ورد الظلم عن المظلومين، والسماحة، والعفة، والهمة والعزيمة.. الخ تلك الخصال التي التصقت بالعربي زمانا وكانت جزءا من حياته ومثله. ونجد ذلك في قوله أيضا:

ان كان يجمعنا حب لغرتــه
فليت انا بقــدر الحب نقتسم

لم يكن تكرار كلمات الحب في القصيدة عفويا. انه مقصود يؤدي هدفه ويعبر عن حقيقته. ان من أحب سيف الدولة لم يحبه الا لتلك القيمة التي تتراءى بعيدة، انها تبدو في زمن المتنبي شبه مفقودة، ولذلك فهي غرة، وللغرة معنيان غرة الفرس: وهو لا بد هنا يعني الفرس العربي الأصيل، أي تؤدي مفهوم «الشيمة»، وهي هنا تعني: العروبة + الاصالة، والفرس يحتاج الى فارس ولذلك فهي تعني أيضا: الشجاعة. أما المعنى الآخر للغرة فهو غرة الهلال، وهي تتضمن من معاني «الشيمة»: البياض، أي الطهارة والنقاء، والرفعة والسمو، أي الشرف والمجد.

والمعضلة هنا ليست في كون الناس يحبون سيف الدولة، ولكن المعضلة في كيفية هذا الحب ومصداقيته. أي أن الآخرين لا ينظرون الى «غرة» سيف الدولة الا على اساس أنه حاكم، أما المتنبي فهو لا يضع اعتبارا لذلك، اذ هو يساوي نفسه به ولا يرى نفسه أقل منزلة منه، وان ما يدرك المتنبي من تلك «الغرة» هو تلك المعاني جميعا. الآخرون يحبونه حبا نفعيا، أما هو فحبه له لمعان وقيم انسانية سامية.

وكون سيف الدولة حاكما جعله لا ينظر الى المتنبي الا وسيلة اعلام تخلد وتذيع مآثره، وهكذا يتساوى عنده كل من يقول شعرا، لأن الهدف هو الدعاية وكسب الجمهور، أما الحب وما عداه فليس لها باب في ميدان السياسة والاعلام، وهنا كانت المأساة والفاجعة:

بأي لفظ تقول الشعر زعنفــة
تجوز عندك لا عرب ولا عجــم

ذلك مدخل عام للقصيدة كنا أردنا به أن نوضح حيثياتها ولسنا بصدد تحليلها ولكن ذلك ضروري لاعطاء خلفية عامة قبل أن نبدأ الآن في تحليل: أبيات الفرار.

لقد كنا نتوقع أن تسير قصيدة المتنبي «واحر قلباه» في نفس واحد توجهها الفكرة من غير ارتباك أو بعثرة، ولكنا نفاجأ بنقله من جو باعثه الحزن والألم، جو ذاتي خاص بالمتنبي الى جو مدح أو جو موجه الى سيف الدولة كذات موجودة فعليا بدلا من كونها ذاتا مستوحاة أو ذاتا غير مرئية، فهو يقول:

في طيه اسف في طيه نعم — فوت العدو الذي يممته ظفر
لك المهابة ما لا تصنع البهم — قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت
ان لا يواريهم ارض ولا علم — الزمت نفسك شيئا ليس يلزمها
تصرفت بك في آثاره الهمم — اكلما رمت جيشا فانثنى هربا
وما عليك بهم عار اذا انهزموا — عليك هزمهم في كل معترك
تصافحت فيه بيض الهند واللمم — اما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر

فما سبب هذه النقلة السريعة والخطاب المباشر لسيف الدولة؟ لم نزع المتنبي نفسه من جوه واحزانه الى هذا المديح او الاعتذار عن هزيمة الاعداء؟ ألم يكن بامكانه ان يسترسل في بث اشجانه وفي عرض قضيته وبيان شكواه؟ لم هذا الانقطاع وتغيير النغمات في القصيدة؟ هل يمكن أن نقول: ان قصيدة المتنبي تفتقر الى الوحدة العضوية ونوافق على التهمة التي توجه الى الشعر العربي بكونه يخلو من تلك الوحدة؟

لقد دفع مجيء هذه الأبيات بتلك الصورة الدكتور محمد مهدي علام، «المتنبي بين نفسيته وشاعريته»، (مجلة مجمع اللغة العربية/ القاهرة، جزء/١٥ عام ١٩٦٢) الى أن يرى أن المتنبي: «يعاني هنا صراعا شديدا بين غضبه من سيف الدولة وشعوره بأن عليه أن يمدحه ويترضاه، ولهذا انتقل هذا الانتقال المفاجيء» ص/١٩ ويقول: «والدليل على ما نقوله هو هذه القوالب التعبيرية التي صاغ فيها المتنبي هذه الدفعة من المديح، فهي قوالب التعبير عن التقريع والتأنيب التي يصوغ فيها الغاضب في العادة ما يريد أن يقوله من اللوم والنقد.. وان كانت محتويات هذه الصيغ مدحا واطراء» ص/٢٠ كما يرى «ان الشاعر قد اقحم مضطرا تلك الصورة التي مدح بها سيف الدولة ص/٢٢». ولكن ربما أمكن القول بأن المتنبي لا يعاني هنا صراعا نفسيا مما حاول علام أن يقيم دراسة القصيدة عليه وتوجيه أبياتها على أساس ذلك إذ أن حديث المتنبي يعود الى الماضي، ماضي الصفاء والود بينه وبين سيف الدولة أما الحاضر فهو حاضر الغضب والثورة.

ويرى أيضا د. حسن أبو ياسين في محادثة شخصية معه: «ان المتنبي يتهم سيف الدولة بالطيش واللامبالاة وبأنه دموي لا يرضى بانتصار سهل كفى الله فيه المؤمنين شر القتال اذ لا نصر عنده الا نصر تصافحت فيه بيض الهند باللمم، واستفهام المتنبي استفهام استنكاري واضح ينطوي فيه التهكم والسخرية من قائد متهور، وبأنه أورد جيشه موارد الهلاك فهو على زعم المتنبي، ليس قائدا محنكا، والا لاكتفى بهروب عدوه امامه ولم يكلف جيشه ما لا يطيق». وبهذا الرأي تنسجم معاني تلك الأبيات مع معاني القصيدة. ولكن هذا الرأي يتناقض مع احتفاظ المتنبي بصورة البطل لسيف الدولة كما انه لا يتفق مع ما روي عن مثل ذلك مما وقع فيه سيف الدولة نفسه وشاهده المتنبي اذ «كان في غزوة العثاء في بلاد الروم وهي تلك الغزوة التي أبلى فيها سيف الدولة البلاء

الحسن ووقف في فناء الموت حتى فنيت جيوشه ولم يبق معه الا ستة أنفس كان المتنبي أحدهم، (السيد البكري) مناقب المتنبي ومعايبه، ص/٣٦١».

وعلى الرغم من كل ذلك فانه يمكن القول ان وراء ايراد تلك الأبيات ما يلي:

- ان المتنبي لم يرد أن يكون ثقيل الظل على سيف الدولة فجاء بهذه الأبيات تلطيفا للجو المشحون بالأسى في قصيدته.
- ان هذه القضية لم يكن بالامكان التخلي عن ذكرها وقد كانت مدار حديث الناس وشغل بال سيف الدولة نفسه، وحيث أن المتنبي لم يكن مستعدا للقول في هذه القضية بقصيدة منفردة نتيجة لأوضاعه النفسية، لذلك فقد جاء ذكرها مشاركة من المتنبي لصديقه للتخفيف عنه.
- ان هناك قاسما مشتركا بين جو هذه الأبيات وجو القصيدة نفسه من عدة نواح:

- ان الأبيات تعكس الحزن الذي اعترى سيف الدولة لأنه لم يستطع أن يقضي على أعدائه.
- ان الأبيات تمثل اخفاق المتنبي في تحقيق احلامه وانه اذ يخفف وقع الهزيمة الذاتية التي شعر بها سيف الدولة إنما يخفف في ذلك وقع الهزيمة الذاتية التي يشعر بها هو نفسه.
- ان المتنبي وجد في تلك الحادثة فرصة جيدة للتعبير عن مخططاته التي سوف يقوم بها، خاصة وقد اتهمه في الأبيات التي ستأتي بعد ذلك بأنه يكن له العداء. فالمتنبي يقرر انه سيفر من سيف الدولة وان سيف الدولة سيشعر بالألم والحسرة لعدم تمكنه من القبض عليه، وسيعقب فراره أسف ولكن ذلك الفرار نعمة للمتنبي على الأقل. ومهما يقال عن «**عليك هزمهم...**» أو «**أما ترى ظفرا**»، فانه تقريع لسيف الدولة نفسه، انه اذ ينتصر في معارك كثيرة فانه لم ينتصر في هذه المعركة، وهو على كل حال لن ينتصر في معركته مع المتنبي. ولقد جاءت الأبيات في آخر القصيدة تأكيدا لهذه المعاني التي يريد المتنبي ان يبثها.

فان القول ان هذه الأبيات مقحمة ترضية لسيف الدولة أو انه يصفه بالطيش واللامبالاة هو على النقيض تماما من موقف المتنبي من حرب الأعداء وبالذات غير المسلمين. ان هذه الأبيات في الحقيقة ما هي الا صورة مطولة للشطر الثاني من البيت التالي:

قـــد زرته وسيوف الهند مغمـــدة
وقـــد نظـرت اليـه والسيوف دم

ولعل مما يؤكد خلو هذه الأبيات من أي محاولة للتقريع أو التأنيب وانها الأبيات الوحيدة في القصيدة التي احتفظت باحدى الصور الخالدة في مخيلة المتنبي، الشجاعة بعد أن تهاوت كل الصور الأخرى خلافها، ان المتنبي عبر في نهاية قصيدته عن رواسب حب في نفسه لسيف الدولة حيث قال:

هـــذا عتابك الا انـــه مِقَـــةٌ
قـــد ضُمِّـن الـــدر إلا أنه كلـــم

اذ لا يزال الحب قائما وكل ذلك التهجم هو عتاب بل هو مقة — حب، والواضح أن سبب بقاء هذا الحب على الرغم من كل تلك الشحناء هو: الشيمة.

هناك وحدة من نوع ما في القصيدة، موضوعية من ناحية الأحداث، وفكرية من ناحية العلاقة التي تجمع بين الطرفين، ونفسية من ناحية القصيدة نفسها، ولكن سواء كان هذا أم ذاك، فان مجيئها لم يكن موفقا أبدا، ولو سارت القصيدة من دون اعتراضها لكانت أكثر جمالا وتأثيرا.

وعلى الرغم من ذلك، فالأبيات لم تفتقد متانتها ولم يختل التعبير فيها، بل جاء هذا البيت:

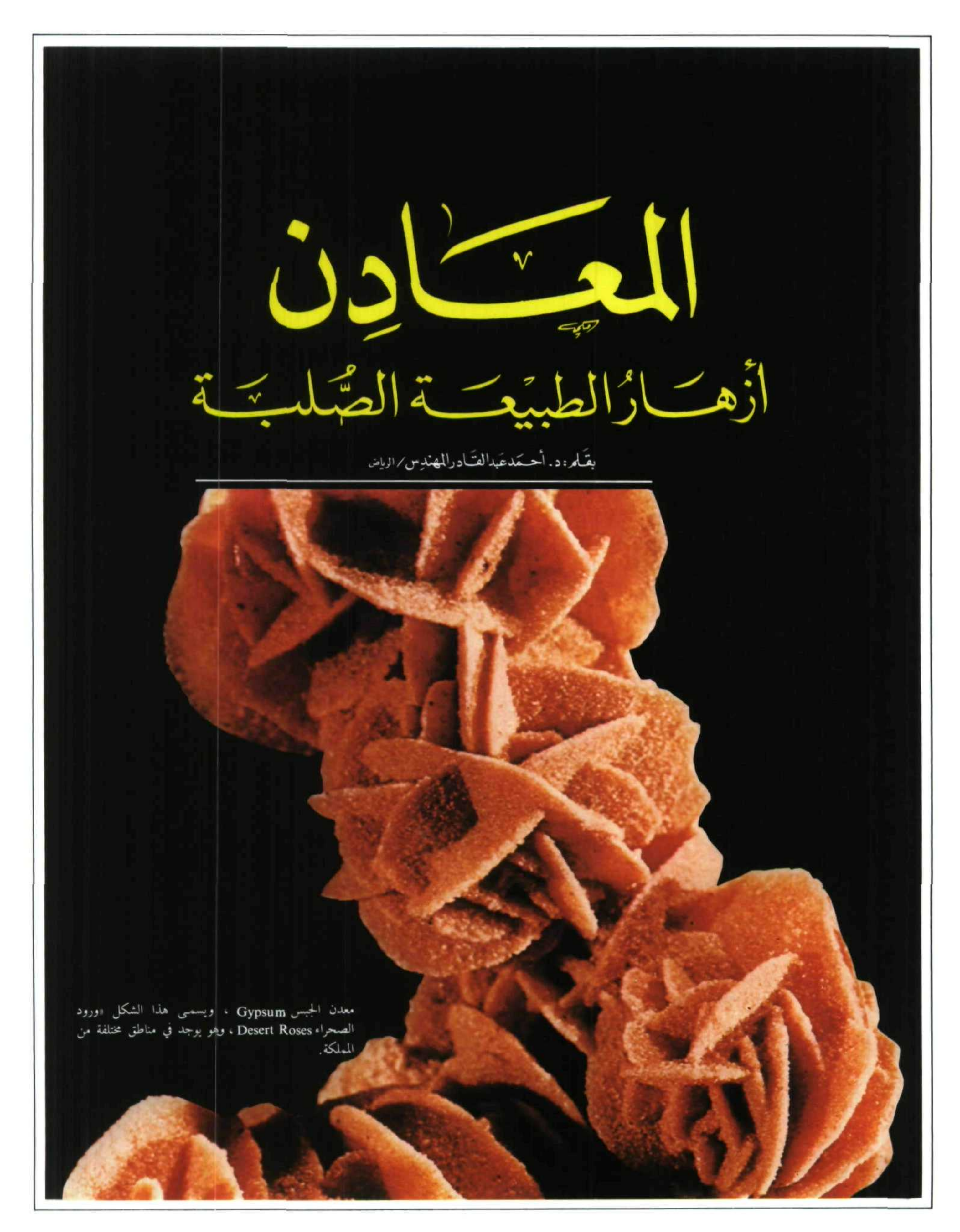
امـا تـرى ظفـرا حلـوا سوى ظفـر
تصافحت فيـه بيض الهنـد واللمـــم

يجمع بين تصوير البيت: «**قد زرته**» والذي يساوي «**تصافحت فيه بيض الهند واللمم**» وجمال البيت «**فكان أحسن خلق الله**» والذي يعادل «**اما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر**» فتأتي النغمات أشبه بفواصل في البيت الواحد: **نا**، **التنوين في حب**، **والتضعيف في ان ثم النون في نا**. كما تقوم الغنة التي تحدث في التنوين أو الادغام بمثابة الوقف في تلك المدات الطويلة **الألف والياء**. بل يبدو السكت واضحا في مثل: «**تصرفت**»، «**تصافحت**»، وعلى هذا المنوال تسير القصيدة كلها. انه لا يمكن الفصل بين الطريقة الانشادية والحالة النفسية للمتنبي خاصة وهي تسير حسب تخطيط واضح المعالم، ويبين البيتان التاليان مجمل هذه الرؤية الموسيقية:

وجاهـل مـده في جهلـه ضحكي
حتـــى اتته يـــد فراسة وفـــم
اذا نظـرت نيـوب الليث بـارزة
فـــلا تظنـن أن الليث مبتسم □

المعَادِن
أزهَارُ الطبيعَة الصُّلبَة

بقلم: د. أحمد عبد القادر المهندس / الرياض



معدن الجبس Gypsum ، ويسمى هذا الشكل «ورود الصحراء Desert Roses» ، وهو يوجد في مناطق مختلفة من المملكة.

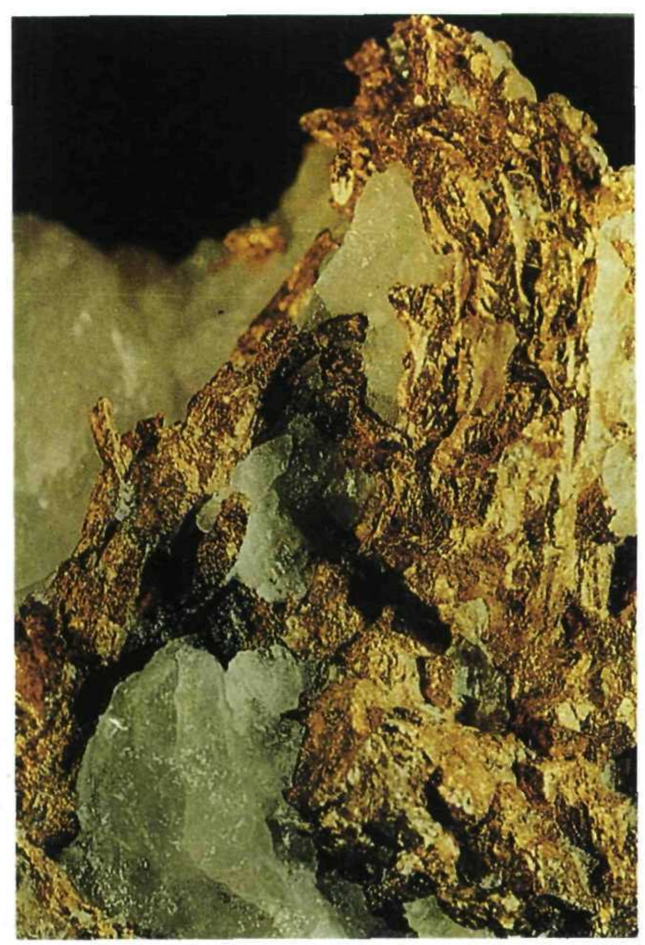
تكوّن الأزهار جزءا اساسيا من عالم النبات، وهي كيانات حية رقيقة ذات تماثل جمالي رائع. وتضفي الأزهار البهجة والحبور على النفوس في كل مكان وزمان. والمعادن هي أزهار الطبيعة، وجزء أساسي من عالم الجمادات، ولكنها أيضا مصدر الثراء والمتعة للانسان. فمنها يستمد الانسان عناصر حضارته وتقدمه. ومن هذه المعادن الأحجار الكريمة التي تتألق بالسحر والجمال والتي يستخرج الانسان منها مصادر الطاقة مثل اليورانيوم، او الصناعة مثل الحديد والكروم والنيكل. وبالرغم من كثرة استعمال الانسان للمعادن منذ القديم، فان كثيرا من الناس لا يعرفون ما هي المعادن من حيث خواصها الطبيعية أو تركيبها الكيميائي... الخ.

والواقع أن المعادن تحتل جانبا كبيرا في حياتنا، في الملح الذي نأكله كل يوم، وفي السيارة التي نركبها، في كل حبة رمل تتحرك في الصحراء، في تربة الأرض، بل حتى في الكثير من المنتجات التجارية غير العضوية مثل الصلب والسبائك والزجاج ومواد البناء والأدوات المعدنية وغيرها.

ونظرا لأهمية المعادن فقد كانت دراستها في مقدمة العلوم التي عرفها الانسان منذ أقدم العصور. وعلم المعادن — Mineralogy يعد اليوم، علما قائما بذاته يُعْنَى بدراسة المعادن دراسة علمية عميقة وشاملة. وهناك علوم مساعدة اخرى لهذا العلم مثل علم الخامات الاقتصادية — Economic or Deposits، وهو علم يبحث في تكون الخامات، وكيفية استغلالها، وعلم جيولوجيا المناجم — Mining Geology ويختص بدراسة كيفية استخراج الخامات المعدنية من باطن الأرض، ودراسة وجودها الجيولوجي بالاضافة الى علم الفلزات — Metallurgy · والخاص بدراسة تصنيع الفلزات واستخلاص العناصر المهمة منها. وتزداد أهمية المعادن كل يوم، نظرا لاستخداماتها المتطورة. ولا أدل على ذلك من توصل الانسان الى استخلاص الطاقة النووية الهائلة من العناصر المشعة مثل «اليورانيوم» الذي يمكن استخلاصه من معادن اليورانيوم الموجود في القشرة الأرضية.

القشرة الأرضية والمعادن

تتكون القشرة الأرضية من المعادن والصخور، والمعدن هو وحدة تركيب الصخر. وعادة يتكون الصخر من معدن واحد أو أكثر. وبالرغم من أن العناصر التي تدخل في تركيب القشرة الأرضية تزيد على مائة عنصر، الا أن هناك حوالي عشرة عناصر تكوِّن حوالي ٩٩ في المائة من محتويات هذه القشرة، وهي: الاكسجين، والسليكون، والالمنيوم، والحديد، والكالسيوم، والصوديوم، والبوتاسيوم، والمغنسيوم، والتيتانيوم، والهيدروجين. ويعد الاكسجين أكثر العناصر انتشارا في القشرة الأرضية، حيث تبلغ نسبته حوالي ٤١.٧١ في المائة وهو يوجد متحدا اتحادا كيميائيا مع عناصر أخرى لتكوين المعادن الاكسيدية والسيليكاتية وغيرها من المعادن التي يدخل الاكسجين في تركيبها.



معدن الذهب، يوجد في كثير من مناطق المملكة بالدرع العربي. وأهم منطقة يتوفر فيها هذا المعدن بكميات تجارية هي منطقة مهد الذهب بالقرب من المدينة المنورة.

والمعادن عبارة عن مواد متجانسة غير عضوية، تتكون من عناصر أو مركبات، وهي توجد في الطبيعة بأشكال بلورية مميزة يمكن رؤيتها بالعين المجردة أو بأشكال متبلورة يمكن تمييزها بواسطة المجهر المستقطب، وهي ذات تركيب كيميائي محدد وخصائص فيزيائية ثابتة. وتتكون الأرض وجميع الأجسام الكوكبية في النظام الشمسي من المعادن. ويوجد حاليا حوالي ثلاثة آلاف معدن يعرفها العلماء وتزداد معرفتنا بالمعادن كل يوم، كما أن عدد المعادن يزيد كل عام بمعدل أربعين الى ثمانين معدنا تقريبا، نظرا لتطور الوسائل التحليلية لاكتشاف المعادن الجديدة.

الجدير بالذكر أن علماء المسلمين العرب هم أول من درس المعادن دراسة علمية صحيحة. ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين اسهموا في تطور علم المعادن، «عطارد بن محمد الحسيب»، و«الكندي»، و«ابن سينا» و«البيروني»، و«التيفاشي»، و«ابن الاكفاني». وقد قام أولئك العلماء الافذاذ بالكثير من التجارب العلمية على المعادن التي تدل على دقتهم العلمية وأمانتهم واخلاصهم للعلم.

الخواص الطبيعية والبلورية للمعادن

توجد المعادن في اشكال بلورية مختلفة. ويمكن تعريف البلورة بأنها جسم صلب متجانس التركيب الكيميائي، تحدها أسطح ومستويات طبيعية تعرف باسم أوجه البلورة، وتتميز بوجود علاقات تماثل معينة. ويمكن تقسيم البلورات الى سبعة نظم بلورية — Seven Crystal Systems ، وذلك على اساس اطوال المحاور البلورية أ، ب، جـ بالاضافة الى الزوايا البلورية.

وهذه النظم البلورية السبعة هي: نظام المكعب، ونظام الرباعي، ونظام السداسي، ونظام الثلاثي، ونظام المعين القائم، ونظام احادي الميل، ونظام ثلاثي الميل.

ولا تحدد الذرات وترتيبها الداخلي في المعدن شكله البلوري فحسب بل تحددان أيضا خواصه الطبيعية والكيميائية والضوئية. ويمكن التعرف الى المعادن إما بفحصها بالعين المجردة او باجراء اختبارات فيزيائية وكيميائية وضوئية عليها. وتعد الخواص الطبيعية مهمة جدا للتعرف الى المعادن، ويمكن تقسيمها باختصار الى الأقسام التالية:

◦ **الخواص البصرية:**
وهي مجموعة من الخواص التي تعتمد على الضوء مثل اللون والمخدش والشفافية والبريق والتضوء، بالاضافة الى المميزات الضوئية لكل معدن.

◦ **الخواص التماسكية:**
وهي مجموعة من الخواص التي تتوقف على مقدار تماسك المعدن مثل الصلابة والانفصام والانفصال والمكسر، وكذلك قابلية المعدن للسحب والطرق والتشكيل.

◦ **الوزن النوعي:**
وتتوقف هذه الخاصية على كيفية رص وترابط جزيئات وذرات المعدن.

◦ **الخواص الحرارية:**
وهي الخواص التي تعتمد على الحرارة مثل قابلية المعدن للانصهار.

◦ **الخواص الحسية:**
وهي مجموعة من الخواص التي تعتمد على الحواس مثل الذوق واللمس والشم.

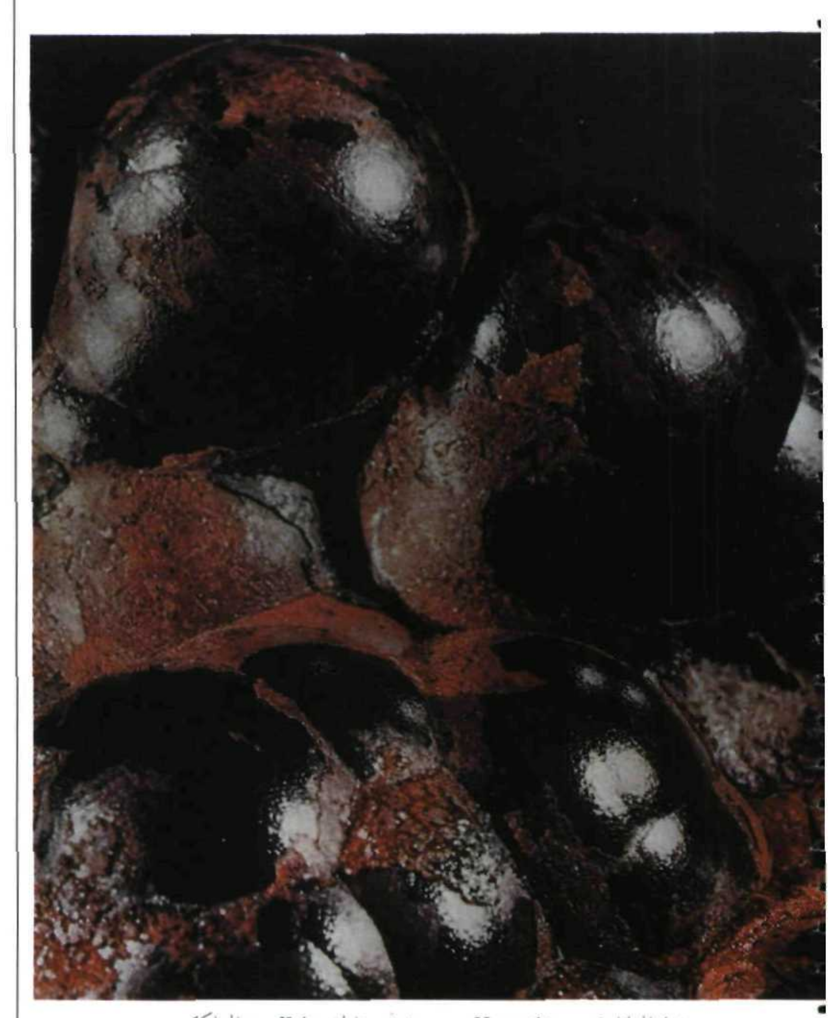
◦ **خواص أخرى:**
وهي تعتمد على المغناطيسية والكهربائية والنشاط الاشعاعي والشكل البلوري للمعدن.

أسماء المعادن

اسم المعدن هو تمييز وتعريف له بشكل يعكس نوعيته وسمته. وتوجد لجنة علمية عالمية لاقرار اسماء المعادن، ولا يمكن أن يسمى المعدن الا بعد دراسة دقيقة له. وبعد موافقة هذه اللجنة العلمية العالمية. وتتبع هذه اللجنة لرابطة علماء المعادن. ولا يوجد في الواقع قاعدة ثابتة لتسمية المعادن. فيمكن أن يكون اسم المعدن مشتقا من اسم المنطقة التي اكتشف فيها المعدن لأول مرة، أو يشتق من اسم احد العلماء المشهورين، أو يشتق من خاصية طبيعية مميزة فيه، او لتركيبه الكيميائي او نتيجة لشكله البلوري، فمعدن «الكرومايت — Chromite» سمي بهذا الاسم لاحتوائه على عنصر الكروم بكمية كبيرة، وكذلك معدن «الفلورايت — Flourite» لاحتوائه على عنصر الفلور. أما معدن «البايرايت — Pyrite» فقد اشتق اسمه من كلمة اغريقية تعني النار، حيث أن هذا المعدن يطلق شرارات لامعة عندما يخلط مع الفولاذ. وقد اشتق اسم معدن «البورنايت — Bornite» نسبة الى العالم «Von Born»، اما معدن «البيوتايت — Biotite» فقد اشتق اسمه من اسم الفيزيائي الفرنسي «J.B. Biot». وسمي معدن «التتراهيدرايت — Tetrahedrite» بهذا الاسم نسبة الى شكل البلورات التي يظهر فيها هذا المعدن وهي شكل رباعي الأوجه أما معدن



معدن الفلورايت — Fluorite، ويوجد في منطقة هضبة الشرار قرب جبل سايد.



معدن الهياتايت — Hematite، ويوجد في مناطق متفرقة من المملكة.

«الميكروكلين» فقد اشتق من كلمتين اغريقيتين معناهما قليل ومائل اشارة الى أن زاوية انفصامه تختلف قليلا عن ٩٠°.

أمثلة من المعادن

اعرض فيما يلي لبعض المعادن ذات الأشكال البلورية الرائعة والتي تبدو للعين المجردة كزهور رائعة في حديقة الطبيعة. وهذه المعادن موجودة بكثرة في الطبيعة ومعظمها غير نادرة. ولم أعرض هنا للأحجار الكريمة رغم أنها معادن، وذلك لكونها ازهارا متألقة نادرة ورائعة، وتحتاج الى أكثر من مقال لتوضيح جمالها وروعتها وخصائصها البلورية والطبيعية. ولنبدأ باستعراض المعادن التالية:

الجبس:

يتبلور هذا المعدن في نظام أحادي الميل. ويتميز بانخفاض صلابته حيث تبلغ (٢) على مقياس «موه» للصلابة النسبية ووزنه النوعي هو ٢،٣٢، وبريقه زجاجي، وقد يكون لؤلؤيا أو حريريا، ولونه أبيض أو عديم اللون أو رمادي أو أصفر أو بني نتيجة لوجود الشوائب، وهو معدن شفاف أو نصف شفاف. وتركيبه الكيميائي هو كبريتات الكالسيوم المائية ($CaSo_4 2H_2O$) ويمكن استعمال هذه المعادن كسماد، وكمادة مقاومة للحشرات، وكمادة لاستصلاح الاراضي الزراعية، وكعامل مساعد في صناعة الاسمنت والزجاج. واذا سخن هذا المعدن فانه يتحول الى مادة تفيد في صناعة الاسنان والتماثيل وأعمال البناء.

الذهب:

يتبلور هذا المعدن في نظام المكعب، وصلابته تتراوح ما بين ٢.٥ و٣ ووزنه النوعي ١٩.٣، وهو قابل للطرق والسحب، ولونه ذهبي مائل الى الصفرة ويصبح شاحبا نتيجة لزيادة نسبة الفضة. وينصهر المعدن عند حرارة ١٠٦٣ درجة مئوية، وهو غير قابل للذوبان في الاحماض العادية لكنه يذوب في الماء الملكي. ويستعمل الذهب كمقياس للنقد الدولي، كما يستعمل في الحلي والمجوهرات والأجهزة العلمية والكهربائية.

الفلورايت:

يتبلور هذا المعدن في نظام المكعب، وتبلغ صلابته (٤) على مقياس «موه»، ووزنه النوعي حوالي (٣) وهو ما بين شفاف ونصف شفاف ذو بريق زجاجي، وهو معدن متعدد الألوان. ومن ألوانه: الأزرق، والأخضر المزرق، والوردي، والبني، والارجواني، والأصفر نتيجة للشوائب، وتعطي بعض أنواع الفلورايت ظاهرة الفلورة — Fluorescence، وهي ظاهرة تألق المعدن عند تسليط أشعة ذات طاقة عالية عليه، مثل الأشعة السينية أو الأشعة فوق البنفسجية. ويتميز الفلورايت ببلوراته المكعبية وانفصامه الثماني وبريقه الزجاجي. أما تركيبه الكيميائي فهو «فلوريد الكالسيوم — (CaF_2)». ويستعمل معدن الفلورايت كمادة صاهرة في صناعة الفولاذ، وفي صناعة الزجاج المتعدد الألوان، وفي تحضير حمض الهيدروفلوريك، وفي صناعة العدسات.

البايرايت:

يتبلور هذا المعدن في نظام المكعب، وتتراوح صلابته ما بين ٦ الى ٦.٥ ووزنه النوعي حوالي (٥) وبريقه فلزي لامع، ولونه أصفر نحاسي شاحب، ومخدشه مائل الى الاخضرار أو أسود بني. وتركيبه الكيميائي هو كبريتيد الحديد (FeS_2)، ويمكن أن يحتوي على كميات قليلة من النيكل والكوبالت. ويستعمل معدن البايرايت في اضافة الكبريت الى حمض الكبريتيك وكبريتات الحديدوز، كما يستخدم كخام للحديد في الدول التي لا يتوفر فيها خامات للحديد على شكل أكاسيد.



معدن البايرايت — Pyrite، ويوجد في مناطق مختلفة من المملكة وخاصة في المنطقة الجنوبية.

كلمة أخيرة

استعرضت في هذا المقال وباختصار بعض مميزات المعادن دون الاغراق في التفاصيل الاكاديمية رغبة مني في تبسيط الموضوع، ولم استعرض التقسيم الكيميائي أو البلوري للمعادن أو دراسة الاحجار الكريمة ومميزاتها. ويبدو أن الموضوع لا يمكن أن يكون كاملا دون الاشارة الى لون المعدن كجزء من الناحية الجمالية التي تجذب انتباه الناس، وتعطي انطباعا على أن المعادن هي عنصر جمالي الى جانب انها ذات فوائد مادية متنوعة. واللون هو أهم ظاهرة تسترعي انتباه الناس للمعادن سواء كانت احجارا كريمة أو معادن نصف كريمة أو عادية. وينتج اللون عن طول الموجات الضوئية التي يعكسها المعدن بعد امتصاصه لبقية الموجات، فمثلا اذا سقط الضوء الأبيض على سطح معدن ، فان جزءا منه ينعكس والجزء الآخر ينكسر. فاذا كان المعدن عديم اللون فهذا يعني أن المعدن لم يمتص أي ضوء. واذا كان المعدن أحمر اللون، فان هذا يعني أنه يمتص جميع موجات الضوء ما عدا موجة الضوء الأحمر فانه يعكسها. واللون من الخواص الجيدة التي تساعد على التعرف الى بعض المعادن، بالرغم من أن اللون لا يعتمد عليه في الكثير من المعادن التي تكون ألوانها نتيجة لوجود شوائب غريبة داخل المعدن. ومع هذا، فان هناك معادن ذات لون ثابت لا يتغير مثل معدن الكبريت ذي اللون الأصفر، ومعدن «المالاكايت» ذي اللون الأخضر، ومعدن «الايزيورايت» ذي اللون الأزرق، ومعدن «السينابار» ذي اللون الأحمر. أما المعادن ذات الألوان المتغيرة فيعزى سبب اختلاف الوانها الى الشوائب الملونة او الدخيلة على التركيب الكيميائي. فمعدن الكوارتز يمكن أن يكون عديم اللون، ولكنه قد يكون ورديا حيث يحتوي على اكاسيد الحديد، أو بنفسجيا عندما يحتوي على بعض أكاسيد المنجنيز، أو يحتوي على بعض المكثفات الغازية أو السائل كما في الكوارتز اللبني. وقد يكون مدخنا، عندما تكون الاواصر الكيميائية بين الذرات محطمة كما في الكوارتز المدخن. وقد يكون اللون موزعا على هيئة حزم كما هي الحال في معدن «العقيق — Agate ».

وبعد، فان المعادن هي أزهار غير عضوية، لا تمتلك السحر والجمال والروعة فحسب بل هي عنصر مهم لتقدم الحضارات. وهي بعد هذا وذاك نعمة من النعم التي أنعم الله بها على الانسان لتعمير هذه الأرض لكي تسودها الرفاهية والخير والسلام □

ليلة القدر

شعر: جهاد جميل الجيوسي / الاردن

ليلة القدر أنت خير الليالي … قد كساك الاله ثوب الجلال
انزل الله فيك ذكرا حكيما … صدعت آيه قلوب الجبال
انت خير من ألف شهر فطوبى … للذي بات ضارعا بابتهال
ليلة لم تزل لكل منيب … رحمة بابها بلا اقفال
ليلة قد تنزَّل الخير فيها … فاغتنمها بصالح الأعمال
وبها الروح قد تنزَّل نورا … أين من نوره كنوز اللآلي ؟ !
قبس الوحي قد تبدَّى جليًّا … للرسول الكريم خير الرجال
يا نداء السماء هذا حبيب … في أعالي الذرا حميد الخصال
خف للوحي في نشاط وشوق … فلقاء «الأمين» خير وصال [1]
كيف يغفو والعرس ملء الروابي … وعروس السماء ذات كمال
أي نور على الوجود تجلى … فاذا الكون آية من جمال ! ؟
يا ليالي «حراء» الف سلام … فلقد كنت سلما للمعالي

* * *

انها نقطة انبعاث جديد … لنظام منسق ومثالي
يتسامى بالفكر والنفس والرو … ح سموا عن حمأة الأوحال
ويقيم الحياة فوق اساس … ثابت الركن، راسخ كالجبال
حارب الوهم والخرافة حتى … يخرج الناس من كهوف الضلال
راية العدل رفرفت في سماء … مثل شمس الصباح فوق التلال
ليلة للسلام كانت حساما … حرر الناس من لظى الاغلال

* * *

ليلة القدر دمت مبعث نور … وأمان ورحمة وظلال
نسأل الله أن تكوني انطلاقا … لسلام يدوم في الأجيال
ونجاة من الخطوب اللواتي … قد أقضت مضاجع الاطفال
لا يضيع السؤال عند كريم … وعلى الله لا نرى من محال
قد دعونا بكرة واصيلا … بلسان التفصيل والاجمال
وبذلنا من جهدنا ما استطعنا … وشفعنا عزيمة باتكال
وسنجني ان شاء خيرا عميما … بعد شر من السنين الطوال

---

١ ــ الأمين: جبريل عليه السلام.

مَرَاكز التَدريب والاعداد المهني في المملكة
مصانع للمهارات

عبدالله الخالد / هيئة التحرير



قسم محركات البنزين في ورشة ميكانيكا السيارات التابعة لمركز التدريب المهني بالدمام.

وقف ديننا الاسلامي الحنيف من مسألة الكسب والعمل موقفا اتسم بالوضوح. فقد حث على العمل ودعا اليه، بل وقرنه بالعبادة. وما موضوعنا الذي نحن بصدد الحديث عنه الا جانب من جوانب العمل المهني المتقن والذي يتمثل في **«مراكز التدريب والاعداد المهني في المملكة»**.

لقد أصبح العمل المهني في العقدين الماضيين يشكل رافدا مهما من روافد النهضة الصناعية والزراعية التي شهدتها المملكة. وقد عمدت تلك المراكز منذ انشائها الى اعداد الكفايات المهنية المؤهلة من المواطنين لسد بعض الاحتياجات المحلية للمهارات الفنية والمهنية المدربة تدريبا متخصصا، لا سيما بعد النمو المطرد الذي شهدته القطاعات الصناعية والتجارية والعمرانية في المملكة مما حدا بالمسؤولين الى التفكير في افتتاح مركز مهني يكون نواة للعديد من مثيلاته من مراكز التدريب والاعداد المهني، وذلك تبعا للاحتياجات التي تطلبتها مشاريع التنمية في المملكة. وقد تم افتتاح أول مركز للتدريب المهني عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٢م) وأول مركز للاعداد المهني عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)، واستمر التوسع في هذا المضمار حتى بلغت مراكز التدريب تسعة وعشرين مركزا، وقد تم توزيع تلك المراكز جغرافيا حسب الكثافة السكانية، وتمشيا مع وجود مشاريع التنمية ومناطق النمو السكاني والصناعي وذلك بناء على دراسات أعدت لهذا الغرض.

وعن مدى الاقبال على هذه المراكز، ومتطلبات القبول فيها، وفئات العمر التي يحق لها الالتحاق بها، والمميزات التي تقدمها هذه المراكز للملتحقين بها، حدثنا مدير عام الادارة العامة للتدريب المهني الأستاذ فهد سليمان المزيد قائلا: «كان اقبال الشباب على مراكز التدريب والاعداد منذ انشائها اقبالا لا بأس به، الا أنه في الاونة الأخيرة، بدأت تلك المراكز

تلاقي اقبالا متزايدا على جميع برامجها، بسبب ازدياد مشاريع التنمية ووعي الناس بأهمية العمل المهني.

أمّا عن متطلبات القبول في المراكز فهي أن يكون الملتحق سعودي الجنسية وأن يكون لائقا طبيا وألا يقل عمره عن أربعة عشر عاما وألا يزيد على خمسين عاما. علما بأنه يتم القبول في هذه المراكز للمراحل الدراسية كافة بالاضافة الى قبولها لبعض الأميين. وتختلف مدد الدورات من برنامج الى آخر، وهي —عموما— تتراوح بين ٦ و١٨ شهرا في جميع البرامج.

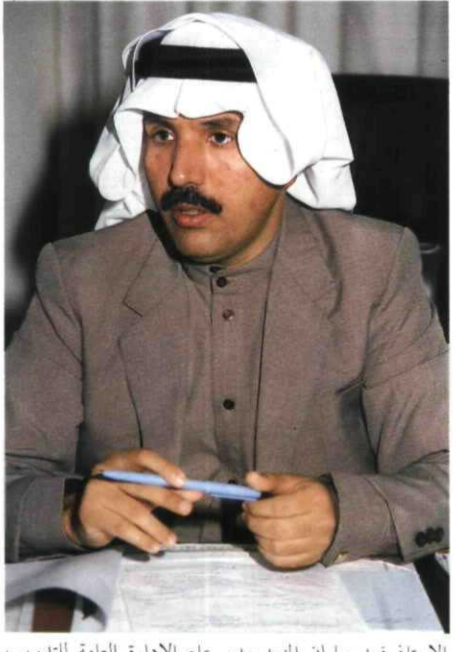
وتمنح الدولة للملتحقين بتلك المراكز مكافآت شهرية تتراوح بين ٤٠٠ و٨٠٠ ريال، بالاضافة الى مكافآت تشجيعية في نهاية كل مرحلة تتراوح بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠ ريال، مع توفير الاعاشة والاسكان والمواصلات وأجهزة السلامة وملابس التدريب والكتب الدراسية.

أما عن مباني المراكز وجهاز التدريب، فقد ذكر الاستاذ المزيد بأن مراكز التدريب والاعداد المهني بدأت بمبان متواضعة ثم تطورت بحيث احتلت مباني حكومية حديثة ومجهزة بالآلات التقنية المتطورة جنبا الى جنب مع العدد المتنامي من المتدربين وتطور وسائل التدريب وحقوله.

ويقوم بالتدريب في تلك المراكز عدد من المدربين الوطنيين الى جانب عدد آخر من المدربين من الدول الشقيقة. وقد تم افتتاح معهد لاعداد المدربين منذ عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) بهدف تزويد تلك المراكز بالمدربين الوطنيين الاكفاء والذين بدأ يتزايد عددهم باطراد. واضاف سعادته قائلا: تعتبر تنمية الموارد البشرية الوطنية هدفا استراتيجيا لخطط وبرامج التنمية التي تضعها الحكومة ومراكز التدريب والاعداد المهني من المرافق الهامة والحيوية التي توليها الدولة أهمية خاصة لتنمية وتطوير القوى العاملة سعيا وراء تحقيق أهداف التنمية الطموحة.

وقد قامت المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، والتي تعتبر مراكز التدريب والاعداد المهني جزءا منها، بتطوير برامجها ورفع مستوى كفاءة العاملين فيها واستحداث مناهج وبرامج جديدة ومتطورة تواكب الاحتياجات المتزايدة للمهارات الفنية المدربة.

ومن خلال استعراض قوائم خريجي هذه المراكز للاعوام السابقة يتضح لنا مدى مشاركة هذه المراكز في النشاطات الاقتصادية وما يلعبه خريجوها من دور هام وفعال جعلهم ينتشرون في معظم القطاعات الحكومية بالاضافة الى القطاع الخاص. ومن أجل تشجيع خريجي تلك المراكز على الاستمرارية في العمل والأخذ بأيديهم خصصت الدولة حوافز تشجيعية تصل في بعض البرامج الى (٣٠٠٠) ريال في حالة استمرار المتخرج في مزاولة مهنته لمدة ستة أشهر. كما جعلت الدولة اولوية منح الأراضي في



الاستاذ فهد سليمان المزيد مدير عام الادارة العامة للتدريب المهني يتحدث عن طبيعة عمل المراكز.

المناطق الصناعية لخريجي هذه المراكز الى جانب منح من يرغب منهم في فتح ورشة صناعية، قرضا تصل قيمته الى (٢٠٠ ٠٠٠) ريال بشرط مزاولته المهنة لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات في مجال تخصصه.

كما قامت الدولة بتقييم المؤهل الذي تمنحه المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني لخريجي مراكز التدريب والاعداد المهني ومنحتهم أولوية في العمل بالقطاع الحكومي.

ومما لا شك فيه أن نظرة الشباب للعمل الحرفي، لم تكن ايجابية كما يجب، خلال السنوات الماضية. الا أن هذه النظرة تغيرت في الوقت الراهن.. وأصبحت مراكز التدريب تلاقي اقبالا متزايدا من الشباب على كافة برامجها، ويرجع ذلك الى اتساع برامج التنمية وازدياد الوعي، بأهمية العمل المهني والفني والذي كان لوسائل الاعلام المختلفة الدور الكبير في تنميته.

وكان للمؤسسة دور بارز أيضا في زيادة وعي الشباب عن طريق قيامها باعداد الافلام والنشرات الاعلامية ووضع برامج للزيارات المتبادلة بين متدربي هذه المراكز وطلاب التعليم العام، اضافة الى الملصقات الاعلانية ولوحات الطرق والكتيبات الاحصائية والوثائقية التي تتحدث عن نشاطاتها. وكما نعلم فان هناك مراكز للتدريب المهني ومراكز الاعداد المهني ولكل منها مجاله، فبرامج مراكز التدريب المهني تنصب على اكساب المواطن مهارات اساسية تهيئه للعمل بمستوى عمالة فنية ماهرة او شبه ماهرة حسب مدة البرنامج والتخصص.

أمّا برامج الاعداد المهني فهي برامج تنصب على اكتشاف قدرات الشباب وميولهم واتجاهاتهم نحو المهن، بحيث يتم على ضوء ذلك ارشادهم وتوجيههم للالتحاق اما ببرامج التدريب المهني أو بالعمل المهني مباشرة. ويتم القبول في مراكز التدريب لمن تتراوح أعمارهم بين (١٧ — ٤٥) سنة للفترة الصباحية، وبين (١٧ — ٥٠) للفترة المسائية. أما في مراكز الاعداد فيتم القبول لمن تتراوح أعمارهم بين (١٤ — ١٧) سنة بالقسم الصناعي، وبين (١٧ — ٣٠) سنة بالأقسام التجارية.

وتتراوح مدة الدورات في البرامج الصباحية لمراكز التدريب المهني بين (١٤ —١٨) شهرا وتبلغ للفترة المسائية ستة أشهر. أما برنامج الاعداد المهني فمدته عشرة أشهر.

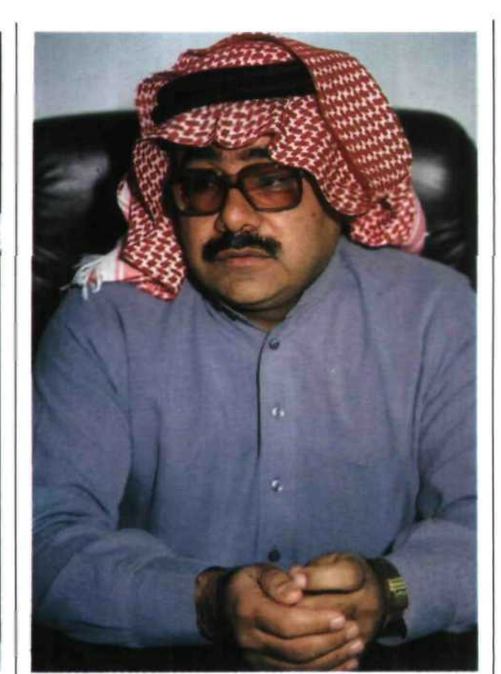
وأهداف كلا النوعين من المراكز متكاملة، وهي جميعا ترمي الى تنمية وتطوير القوى العاملة الوطنية لتحقيق الأهداف الاقتصادية التي تنسجم مع خطط التنمية التي تتبناها حكومتنا الرشيدة.

مركز التدريب المهني بالرياض

مركز التدريب المهني بالرياض، كما يقول مديره الاستاذ عبدالرزاق الثويني: هو أحد فروع المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، وقد تم افتتاحه في ١٦/١١/١٣٨٣هـ الموافق ٢٩/٣/١٩٦٤م ويبلغ عدد المتدربين الملتحقين به في الدورات الصباحية ٨٦٤ متدربا وفي الدورات المسائية ٤١٦ متدربا، ويضم العديد من الأقسام منها: اللحام، ميكانيكا السيارات، الكهرباء، السباكة، السمكرة والدهان، الميكانيكا العامة، التبريد، المعادن، الآلات المكتبية، الطباعة، النجارة العامة، الراديو والتلفزيون. وتبلغ عدد ساعات الدوام الرسمي فيه للفترة الصباحية سبع ساعات متواصلة لفترة تمتد بين ١٢ — ١٦ شهرا في بعض الأقسام، أما مدة الدوام في الفترة المسائية فهي ٣.٥ ساعة ومدة التدريب ستة أشهر لجميع الأقسام.



الاستاذ عبدالرزاق الثويني مدير مركز التدريب المهني بالرياض يستعرض مهام المركز.



الأستاذ عبدالله عبدالعزيز البابطين مدير مركز الاعداد المهني بالرياض في حديث عن المركز.

فصل تعليم الضرب على الآلة الكاتبة في مركز الاعداد المهني بالرياض.

ويسمح للمتدرب الذي لا تتجاوز نسبة غيابه ٢٠ في المائة بدخول الامتحان النهائي.

وقد بلغ عدد المتدربين الذين تم تخرجهم من المركز منذ افتتاحه ٥٥٠٠ متدرب في الفترة الصباحية و٥٥٤٧ متدربا في الفترة المسائية ومعظمهم يزاولون اعمالهم في مجال تخصصهم.

ويتكون الهيكل التنظيمي للمركز من: الادارة، وشؤون الموظفين، وشؤون الطلبة والاشراف الاجتماعي، والمستودعات بالاضافة الى رؤساء الأقسام والمدربين في الأقسام الفنية السالفة الذكر. وتشمل وسائل التدريب المكائن والمعدات على مختلف انواعها واختصاص الأقسام المختلفة مثل مكائن الخراطة، ومكائن النجارة، ومكائن الطباعة، وأدوات الكهرباء والتبريد، والسمكرة، والآلات المكتبية، الى جانب الخامات المختلفة المستخدمة في التدريب.

وبعيدا عن النشاطات المنهجية التي تضمها برامج التدريب، يمارس الملتحقون نشاطات ثقافية واجتماعية ورياضية ويشاركون في تلك النشاطات على مستوى المؤسسة وفروعها، كما يقومون أيضا بالاشتراك في النشاطات الرياضية على مستوى الأجهزة الحكومية، بالاضافة الى الرحلات المختلفة للتعرف على مناطق المملكة. ويشغل مركز التدريب المهني في الرياض مبنى حكوميا واسعا مجهزا بالورش الفنية والمكاتب الادارية وقاعات الدرس والمحاضرات حيث يضم ١٢ ورشة فنية مجهزة.

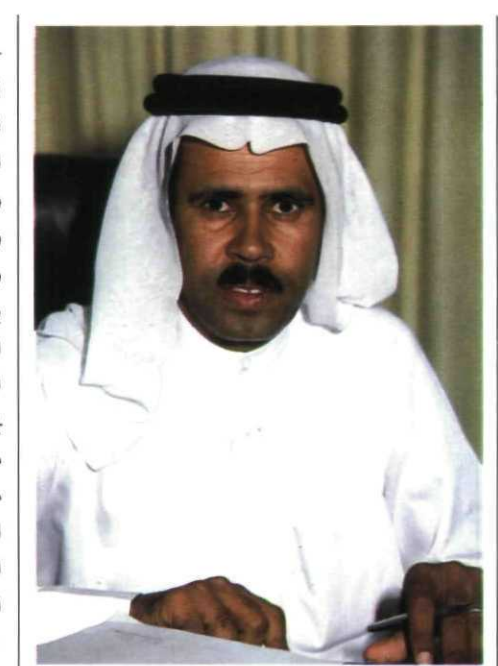
وعن المساحة الجغرافية التي يغطيها نشاط المركز يقول سعادة المدير: ان المركز يغطي المنطقة الوسطى وما جاورها ولا يتردد في قبول الملتحقين من مناطق المملكة كافة، والدورات في المركز متواصلة حيث يعلن المركز عن قبول الدفعات ويقوم باجراء اختبار تحريري ومقابلة شخصية للمتقدمين وذلك لمعرفة مدى انطباق الشروط عليهم.

مركز الاعداد المهني بالرياض

عن بداية انشاء هذا المركز يحدثنا مديره الاستاذ عبدالله عبدالعزيز البابطين قائلا: بعد عشر سنوات من افتتاح مراكز التدريب المهني وانتشارها في جميع مناطق المملكة، تبين أن هناك فئة غير قليلة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ — ١٧ سنة يتسربون من برامج التعليم العام لسبب أو لآخر. ولا تنطبق عليهم شروط الالتحاق بمراكز التدريب المهني. وللاستفادة من هذه الطاقات وضعت دراسات بالتعاون مع منظمة «اليونيسيف» الدولية، وعلى ضوئها أقرت فكرة مراكز الاعداد المهني بالمملكة. وقد تم افتتاح ثلاثة مراكز للاعداد المهني في مدن الرياض وجدة والدمام عام ١٣٩٤هـ. فكانت نواة لقيام مراكز عديدة مماثلة في كل من القصيم والاحساء وأبها والمدينة المنورة وبلجرشي.

وكما يتضح فان الأهداف من ايجاد هذه المراكز هي تزويد الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ — ١٧ سنة، والذين لم تمكنهم ظروفهم من مواصلة تحصيلهم العلمي في التعليم العام، بالمهارات الاساسية لاحدى المهن أو الحرف وتنمية تلك المهارات لديهم طبقا للاصول العلمية والفنية لهذه المهنة. ثم توجيه هؤلاء الشباب نحو التلمذة الصناعية والتدريب المهني وذلك باعدادهم الاعداد اللازم في هذه المراكز حتى يصبحوا مؤهلين للالتحاق ببرامج تدريبية متقدمة في المستقبل، ويكون الهدف من ذلك هو الاستفادة من هذه الطاقات مستقبلا. وتتضمن أهداف هذه المراكز أيضا اتاحة الفرصة للراغبين من كبار السن في الالتحاق بمراكز الاعداد المهني وذلك في الاقسام التجارية لهذه المراكز، نظرا لعدم وجود مثل هذه الأقسام في مراكز التدريب المهني.

ومن ضمن أهداف هذه المراكز أيضا غرس وتنمية القيم الدينية والاخلاقية في نفوس الشباب، وبث روح الاحترام للعمل اليدوي أو المهني فيهم، وتوجيه رغباتهم نحو فرص التوظيف التي تعود عليهم وعلى الوطن بالنفع، وذلك عن طريق تهيئتهم للمساهمة في سد جانب من حاجة البلاد للعمالة الفنية المدربة. وأخيرا توجيه الشباب توجيها مهنيا نحو التخصص الذي يتناسب مع قدراتهم وميولهم، ويزيد فرص الابداع لديهم في المستقبل. وهناك شروط قبول يجب مراعاتها لمن يريد الالتحاق بهذه المراكز ومنها أن يكون سعودي الجنسية، وألا يقل عمره عند بداية الدورة عن ١٤ سنة وألا يزيد على ١٧ سنة بالقسم الصناعي، ويمكن التجاوز عن هذا الشرط بالنسبة للقسم التجاري حيث يتم قبول الأشخاص حتى سن الثلاثين. ويبلغ عدد الملتحقين بالمركز حاليا ٣٢٥ متدربا، منهم ٢٠٣ بالقسم الصناعي و١٢٢ بالقسم التجاري. في حين بلغ عدد الخريجين من خلال ١٢ دورة ٢٠٣٣ متدربا منهم ١٤١٨ بالقسم الصناعي و٦١٥ بالقسم التجاري. والجدير بالذكر أن مركز الاعداد المهني بالرياض يولي اهتماما بتنمية شخصية المتدرب والارتقاء بسلوكه من خلال البرامج



الاستاذ عبدالعزيز عبدالله الكعبور مدير مركز التدريب المهني بالدمام يحدث القافلة عن أعمال المركز.

الاجتماعية والثقافية التي تشرف عليها جماعات النشاط في المركز.

مركز التدريب المهني بالدمام

يعد هذا المركز واحدا من ثلاثة مراكز تم افتتاحها في عام واحد وهي مركز التدريب المهني بالدمام. ومركز التدريب المهني بجدة. ومركز التدريب المهني بالقصيم «بريدة». عام ١٣٨٦هـ. أي بعد ثلاثة أعوام من انشاء أول مركز للتدريب المهني في المملكة. وهو مركز التدريب المهني بالرياض. الذي انشيء كما أسلفنا. عام ١٣٨٣هـ. وفي لقاء لنا مع مدير مركز التدريب المهني بالدمام الاستاذ عبدالعزيز عبدالله الكعبور. أشار الى أن المركز ضم عند افتتاحه عام ١٣٨٦هـ. خمسة أقسام هي: الميكانيكا العامة. والنجارة. والكهرباء. واللحام. والسباكة. وقد كان عدد الملتحقين به يومذاك ٧١ متدربا تخرج منهم عام ١٣٨٨هـ (٦٨) متدربا. وقد بلغ عدد الملتحقين بالمركز منذ انشائه حتى نهاية عام ١٤٠٦هـ (٥٨٩٩) شخصا تخرج منهم (٤١٥٠). ويشرف على التدريب بالمركز. جهاز قوامه أربعة وثمانون مدرِّبا منهم (٤٨) مدربا سعوديا. والمدرِّبون السعوديون جميعهم التحقوا بدورات تدريبية منها عشرة شهور في معهد اعداد المدربين بالرياض، وسنتان في بريطانيا في كلية تدريب المدربين حيث يقوم المركز بابتعاث الخريجين الحاصلين على امتياز الى الخارج وذلك لتأهيلهم للعمل كمدرِّبين فيه. ويوجد الآن اثنان من مدربي المركز السعوديين في بعثة دراسية وبذلك يكون عدد المدربين السعوديين الموجودين حاليا في المركز ٤٦ مدربا. ويشير الاستاذ سعد محمد الدوسري، مدير المركز المساعد الى التوسع القائم في المركز بقوله: يضم المركز حاليا عشرة أقسام في الدورات الصباحية هي: ميكانيكا السيارات، والتبريد والتكييف، والميكانيكا العامة، والسمكرة والدهان، والكهرباء العامة، والراديو والتلفزيون، والأعمال الانشائية، والنجارة، والطباعة، واللحام. بالاضافة الى قسم تم استحداثه مؤخرا وهو قسم الأساسيات ليكون بمثابة معيار تقييم لميول واتجاهات الملتحق وامكاناته للاستمرار في مزاولة مهنة ما، بحيث يحد من عمليات التسرب وعمليات اضطراب التنقل من مهنة معينة الى مهنة أخرى بعد مضي فترة ما من مدة الدورة الفعلية. ويحدثنا رئيس هذا القسم الجديد الاستاذ محمد عبدالعزيز أبا حسين، وهو أحد الشباب السعوديين الذين تخرجوا من المركز نفسه وأنهى الدورات التدريبية المخصصة للمدربين والمذكورة آنفا فيقول: ان هذا القسم انشيء منذ عامين والغرض من انشائه هو سد الاختناقات الموجودة في الأقسام الأخرى حيث يلتحق به المتدربون الجدد لمدة شهرين بقصد تعريفهم بأساسيات المهن الموجودة في الأقسام الأخرى وبالأجهزة الحديثة والمستخدمة في التدريب، بالاضافة الى اعطائهم بعض الدروس النظرية التي يستلزمها التدريب العملي، وخصوصا اللغة الانجليزية التي تساعدهم على فهم الخرائط والمخططات والتصاميم المتعلقة بالمهنة التي يتدربون عليها الى جانب ذلك فان هذا القسم يركز على تعريف المتدربين الجدد بقواعد السلامة وارشاداتها وغرس حب النظام والترتيب في نفوسهم وذلك بعرض الأفلام الخاصة بذلك امام المتدربين الجدد، وبتزويدهم بكتيبات عن السلامة، التي قام باعدادها رئيس القسم، بالاضافة الى تعميم ملصقات السلامة على الجدران المحيطة بكل فرع من فروع القسم وممراته.

وحول سؤال عن مدى متابعة المركز للتطورات المستجدة في مجال المهن والأجهزة الحديثة المستخدمة فيها قال مدير المركز: ان المركز حريص كل الحرص على ادخال الأجهزة الحديثة في مجال التدريب، وهو يفتح صدره لتلقي الاقتراحات من قبل الشركات ومؤسسات القطاعين العام والخاص لتزويد الملتحقين به بما يستجد. وعلى سبيل المثال فقد ادخلنا مؤخرا الصف على الحاسب الآلي في قسم الطباعة بدلا من الصف اليدوي لحروف الرصاص، كما أدخلنا آلات التصوير الحديثة في فرع التصوير الطباعي، ونحن نفخر بأن هذا القسم في مركزنا يقوم بتزويد العديد من مراكز التدريب في المملكة ببعض ما تحتاجه من مواد مطبوعة كشهادات التخرج وجداول بدء واختتام الدورات. كما يقوم المركز بطباعة جميع الكتيبات التي يصدرها في قسم الطباعة التابع له.

وعن التطورات التي سيشهدها المركز قريبا يقول مديره: إن المركز الآن بصدد إدخال تحسينات عديدة على المباني القائمة مثل اقامة النوافير في المداخل وزيادة رقعة المساحات الخضراء وبناء قواعد للمعدات في الأقسام المختلفة، وذلك من أجل راحة وسلامة الملتحقين به والعاملين فيه.

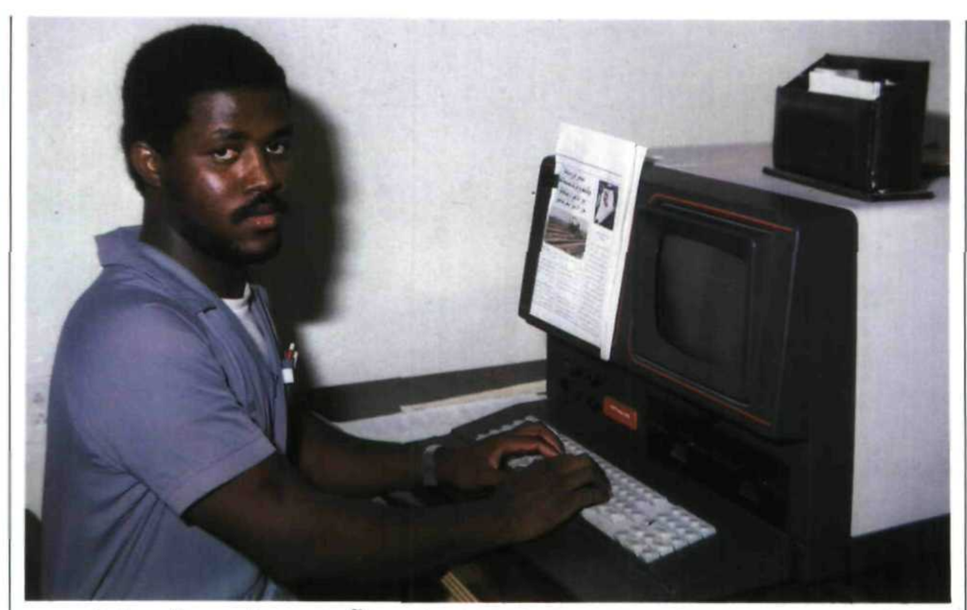
وعن النشاطات اللامنهجية في المركز يفيدنا الاستاذ ابراهيم صالح فلاتة المشرف الفني بالمركز، بأن المركز يشارك مشاركة فعالة في النشاطات الثقافية والرياضية والاجتماعية على مستوى المؤسسة والمنطقة. وقد تصادفت زيارتنا للمركز مع خروج ثلة من كشافة المركز يتقدمهم الأخصائي الاجتماعي في طريقهم لزيارة عدد من المساجد لتزويدها بنسخ جديدة من المصحف الشريف بمناسبة أسبوع المساجد. وقد اطلعنا المشرف الفني بالمركز على نماذج من شهادات «شكر وتقدير» يقدمها المركز للمتدربين المتفوقين ولأولئك الذين يسهمون في النشاطات المختلفة وأشار الى أن المركز يقدم جوائز مادية وعينية سخية لهم.



الاستاذ سعد محمد الدوسري مدير مركز التدريب المهني بالدمام المساعد.

لقاء مع متدرب

خلال جولتنا الاستطلاعية لمركز التدريب المهني بالدمام التقينا بالمتدرب محمد سعد واصل البيشي الذي حدثنا قائلا: انني أبلغ من العمر اثنين وعشرين عاما، وقد التحقت بمركز التدريب المهني بالدمام منذ حوالي عشرة أشهر وبقي لي لانهاء الدورة ما يقرب من ستة أشهر، وقد اخترت تخصص الصف التصويري على الحاسب الآلي بدافع شخصي أولا ثم بتشجيع من الأهل، وقد لمست انا حاجة بعض مؤسساتنا الصحفية الى شباب سعوديين للعمل على هذه الأجهزة. وأود أن أشير هنا الى العناية والرعاية اللتين يوليهما المركز للملتحقين به، حيث أن العديد من الزملاء الشباب أصبحوا يجدون لديهم الرغبة الأكيدة في تطوير مهاراتهم المهنية والتوجه الجاد نحو العمل



المتدرب محمد سعد واصل البيشي اختار مهنة الصف على الحاسب الآلي في مركز التدريب المهني بالدمام.



الاستاذ عبداللطيف احمد العرفج مدير مركز الاعداد المهني بالدمام أثناء حديثه عن المركز.

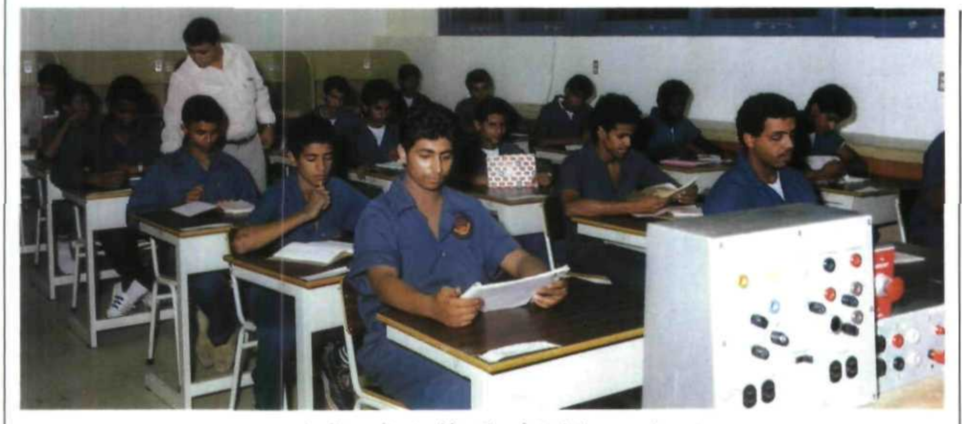
المهني الذي أصبحت بلادنا بحاجة اليه لتعويض النقص في الأيدي الماهرة الوطنية.

مركز الاعداد المهني بالدمام

في مبنى صمم على أحدث طراز قمنا بزيارة هذا المركز وكان لنا لقاء مع الاستاذ عبداللطيف أحمد العرفج مدير مركز الاعداد المهني بالدمام الذي حدثنا قائلا: أنشىء هذا المركز بالدمام في شهر رجب من عام ١٣٩٤هـ ويضم شعبتين رئيسيتين هما: الشعبة الصناعية وتضم الملتحقين من سن ١٤ — ١٧ سنة، والشعبة التجارية وتضم الملتحقين من سن ١٧ — ٣٠ سنة. وتكون مدة التدريب في الشعبة الصناعية عشرة أشهر بواقع ٣٠ ساعة اسبوعيا بحيث يمرر المتدرب على جميع الأقسام في حين أن التدريب في الشعبة التجارية يمثل نوعية من التدريب المتخصص على الأعمال التجارية والمحاسبة ومسك الدفاتر والطباعة والأعمال المكتبية وأعمال السكرتارية وأعمال الشحن والأعمال المصرفية بحيث يقود هذا التدريب الى التوظيف مباشرة. وقد تم التنسيق مع ديوان الخدمة المدنية لتقويم شهادة الشعبة التجارية في المركز لأغراض التوظيف.

ويضم القسم الصناعي الآن ستة فروع هي: فرع السيارات وفرع اللحام وفرع الميكانيكا العامة (خراطة) وفرع الصفائح المعدنية. وفرع النجارة. وفرع الكهرباء. وهناك ثلاثة فروع مجهزة ستدخل مجال العمل قريبا وهي: فرع الاليكترونيات. وفرع السباكة، وفرع التبريد والتكييف. وجميع الفروع السالفة الذكر تتبعها ورش مجهزة تجهيزا حديثا ومزودة بوسائل السلامة العامة.

وقد كان المركز عند صدور قرار بانشائه قسما ملحقا بمركز التدريب المهني بالدمام، ثم أقيم له مبنى مجاور لمركز التدريب يضم ثلاث ورش «فروع».



احد الدروس النظرية في مركز الاعداد المهني بالدمام.

ويحتل مركز الاعداد المهني بالدمام، كما نرى، الآن مبنى مجهزا بأحدث معدات التقنية، وهو يقع على مساحة مقدارها ١٠٠٠٠٠ متر مربع تقريبا، وقد تكلف انشاؤه ما يقرب من ٢٥٠ مليون ريال. وقد انتهى العمل من بنائه في ١٤٠٥/١١/١٥هـ.

وقد قام المركز منذ انشائه بتخريج اثنتي عشرة دورة بحيث تخرج من القسم الصناعي ١٢٠٤ من المتدربين، ومن القسم التجاري ٤٧٩ متدربا وبذلك يكون اجمالي الخريجين ١٦٨٣ خريجا. وتضم الدورة الثالثة عشرة ١٢٠ متدربا في القسم الصناعي و٦٢ متدربا في القسم التجاري.

لقاء مع مدرب

أثناء جولتنا في مركز الاعداد المهني بالدمام لفت نظرنا العدد المتنامي للمدربين السعوديين في هذا المركز مما حدا بنا الى توجيه سؤال الى الأستاذ عبداللطيف العرفج مدير المركز عن الحوافز التي تقدمها الدولة لهؤلاء المدربين لاجتذابهم للعمل في هذه المراكز. فأجابنا قائلا: ان المدرب السعودي يلقى كل تشجيع من الدولة ولذلك فانك ترى أن معظم المدربين الموجودين في هذا المركز من السعوديين حيث تصل نسبتهم الى ٩٠ في المائة. ويتمثل التشجيع الذي تقدمه الدولة في الحوافز المادية التي تصل الى ٣٠ في المائة كبدل مهنة و٣٥٠ ريالا بدل تدريس بالاضافة الى الحوافز المعنوية التي تتمثل في ابتعاثهم خارج المملكة لتطوير قدراتهم واطلاعهم على ما يستجد في مجالات التدريب. ومن أجل استيفاء النظرة حول دور المدرب السعودي في مراكز الاعداد والتدريب المهني واستطلاع رأي المدربين في طبيعة العمل ومستقبل الشاب السعودي في هذه المراكز، كان لنا هذا اللقاء القصير في ورشة التمديدات الكهربائية بمركز الاعداد مع المدرب السابق ورئيس قسم التمديدات الكهربائية الأستاذ سعد محمد الشمراني الذي قال عن نفسه: انني بدأت بداية عادية حيث تخرجت في مركز التدريب المهني بالرياض عام ١٣٩٣هـ. وكان الشرط للعمل في تلك المراكز — في ذلك الوقت — كمساعد مدرب هو الحصول على امتياز عند التخرج من أحد تلك

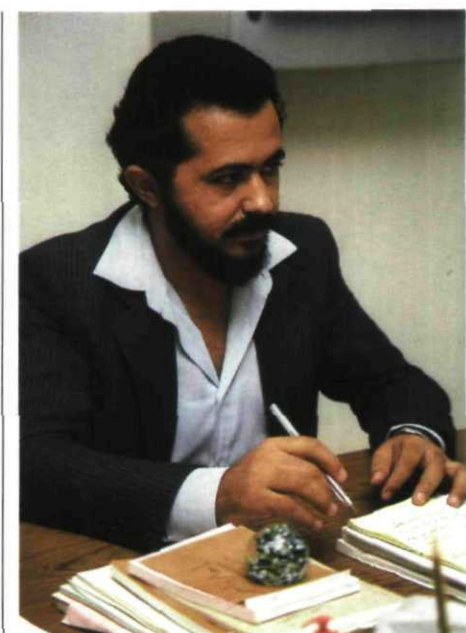
المراكز. ولذلك فقد عينت كمساعد مدرب في مركز التدريب المهني بالدمام عام ١٣٩٤هـ. وبعد ثلاثة أو أربعة أشهر من العمل التحقت بمعهد اعداد المدربين بالرياض حيث أنهيت دورة تدريبية فيه امتدت عشرة أشهر. ثم ابتعثت الى بريطانيا في دورة تدريبية أخرى لمدة سنتين، وقد كانت مدة هذه الدورة الفعلية سنة وثلاثة أشهر، ولكني ـ بحمد الله ـ كنت متفوقا في تلك الدورة فكان النظام يتيح لي التمديد ستة أشهر أخرى زيادة على زملائي. وبعد عودتي من الخارج عينت مدربا في مركز الاعداد لفترة معينة ثم توليت رئاسة القسم حيث أعمل حاليا. وقبل تعييني الأخير ابتعثت الى ايطاليا في مهمة تدريبية لمدة ثلاثة أشهر.

وعن امكانية الشباب السعودي في استيعاب التقنيات الحديثة وتطبيقها في مجال التدريب، وعن طموحات من تخطوا مراحل معينة في مجال مهام التدريب أو ممن هم في طور الاعداد يقول الاستاذ سعد الشمراني: ان الشباب السعودي طموح ـ وأنا واحد من أولئك الشباب ـ والحقيقة ان الشاب السعودي عندما تتاح له فرصة التدريب في المجالات الفنية والمهنية فانه يتفوق على غيره، والدليل على ذلك اننا خلال وجودنا في بريطانيا أو ايطاليا كنا متفوقين على زملائنا من البلدان الأخرى وكنا نشارك المدربين في عرض وتقديم بعض البرامج التدريبية والخبرات التي نتمتع بها. علما بأن الشباب الموجودين لدينا الآن يميلون ميلا كبيرا للأمور الفنية والحرفية، ولا يعني تسربهم من التعليم العام فشلهم المطلق، اذ ان الكثير منهم من المبدعين اذا ما توفرت لهم فرص التشجيع والتوجيه. لكن العائق الكبير الذي يواجهنا هو الافتقار الى تعاون بعض أولياء الأمور وتفهمهم لمستقبل ابنائهم. اذ ان الفكرة السائدة لدى معظم أولياء الأمور هي إن اتجاه هؤلاء الشباب لمراكز التدريب او الاعداد يعني فشلهم وعدم قدرتهم على مسايرة زملائهم في التعليم النظري العام.

وفي معرض الحديث عن أولياء الأمور يشترك الاستاذ عبداللطيف العرفج مدير المركز في الحديث ليضيف قائلا: اننا في المركز ـ فعلا ـ نعاني من ضعف الصلة ـ ان لم نقل من انقطاعها ـ بأولياء الأمور بحيث لا نجد التجاوب اللازم للأخذ بأيدي هؤلاء النشء الى الطريق القويم بما يجعلهم رافدا مهما من روافد التنمية التي يشهدها بلدنا.

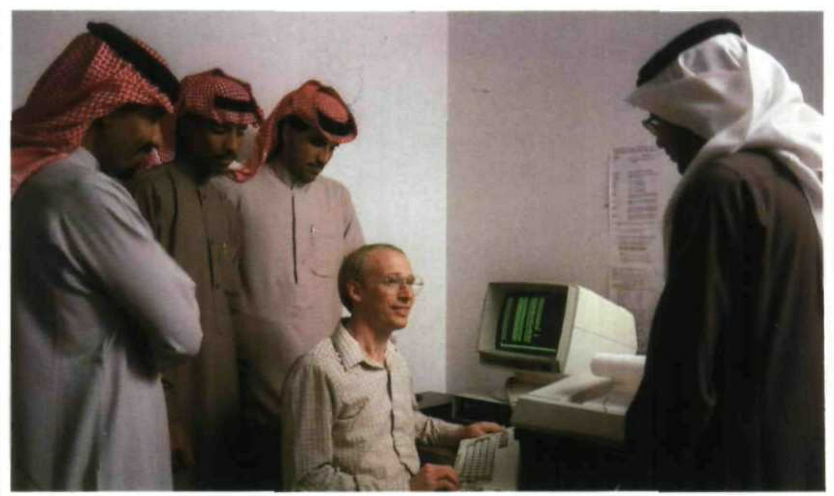
وقبل ختام جولتنا في هذا المركز الحيوي دلفنا الى فصل من الفصول النظرية حيث كان رئيس قسم الميكانيكا العامة الأستاذ عبدالحميد عبد رب الرسول عبدالله ـ من الشباب السعوديين الحاصلين على شهادة الثانوية الصناعية ودورة تدريبية لمدة سنتين في الولايات المتحدة ـ يعرض فيلما لمجموعة من المتدربين عن أصول السلامة. فكان أن سألناه عن طبيعة هذا الفصل فأجابنا قائلا: الحقيقة هي أن أصول وقواعد السلامة وضرورة

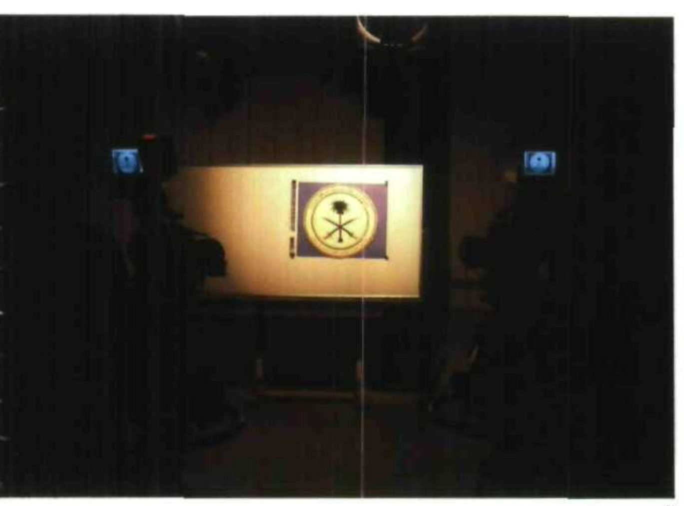

الاستاذ عبدالرحمن عبدالله الفهيد مدير معهد اعداد المدربين يتحدث للمحرر عن طبيعة أعمال المعهد.


الأستاذ سعد محمد الشمراني رئيس قسم الكهرباء في مركز الاعداد المهني بالدمام.


احدى الباحات المزروعة في مركز الاعداد المهني بالدمام.


ورشة اعمال الخراطة في مركز الاعداد المهني بالدمام.


١


٢

اتباعها أصبحت في الآونة الأخيرة جزءا لا يتجزأ من مناهج التدريب في المراكز والمؤسسات المهنية والصناعية في الدول المتقدمة، ومركز الاعداد المهني بالدمام الذي يتابع كل ما يستجد في العالم، كان حريصا على تقديم هذه الارشادات التي يمكن باتباعها حماية الأرواح والممتلكات. وارشادات السلامة المتبعة في المركز تقدم بأساليب عدة منها الملصقات الجدارية والدروس النظرية والكتيبات المطبوعة وكذلك الاشرطة المرئية، حيث تضم مكتبة المركز العديد من هذه الأشرطة في حقول السلامة المختلفة ويتولى المدرب شرح هذه الأفلام والتعقيب على فقراتها.

عند هذه النقطة انتهى بنا المطاف في جولتنا في مركز الاعداد المهني بالدمام، الذي أقل ما يقال عنه انه صرح تعليمي بارز في مسيرة التدريب المهني، وهو واحد من عدة مراكز مماثلة في المملكة، وهذه المراكز هي:

مركز الاعداد المهني بالرياض: افتتح في عام ١٣٩٤هـ وطاقته الاستيعابية ٢٤٠ طالبا.

مركز الاعداد المهني بجدة: افتتح في عام ١٣٩٤هـ وطاقته الاستيعابية ٢٤٠ طالبا.

مركز الاعداد المهني بالدمام: افتتح في عام ١٣٩٤هـ وطاقته الاستيعابية ٢٤٢ طالبا.

مركز الاعداد المهني بالقصيم: افتتح في عام ١٣٩٩هـ وطاقته الاستيعابية ٢٤٠ طالبا.

مركز الاعداد المهني بالاحساء: افتتح في عام ١٣٩٩هـ وطاقته الاستيعابية ٢٤٠ طالبا.

مركز الاعداد المهني بأبها: افتتح في عام ١٣٩٩هـ وطاقته الاستيعابية ٢٤٠ طالبا.

مركز الاعداد المهني بالمدينة المنورة: افتتح في عام ١٤٠٢هـ وطاقته الاستيعابية ٦٠ طالبا.

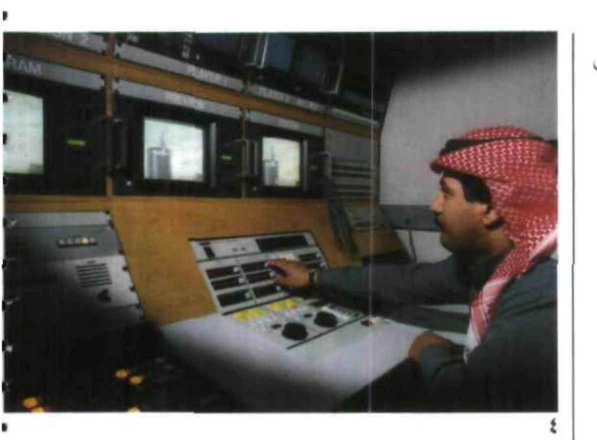
مركز الاعداد المهني ببلجرشي: افتتح في عام ١٤٠٢هـ وطاقته الاستيعابية ٦٠ طالبا.

أما مراكز التدريب المهني بالمملكة فهي على النحو التالي:

مركز التدريب المهني بالرياض.
مركز التدريب المهني بجدة.
مركز التدريب المهني بالدمام.
مركز التدريب المهني بالقصيم.
مركز التدريب المهني بأبها.
مركز التدريب المهني بالجوف.
مركز التدريب المهني بالمدينة المنورة.
مركز التدريب المهني بحائل.
مركز التدريب المهني بالاحساء.
مركز التدريب المهني بالباحة.
مركز التدريب المهني بوادي الدواسر.
مركز التدريب المهني بمكة المكرمة.
مركز التدريب المهني بتبوك.
مركز التدريب المهني بالمجمعة.
مركز التدريب المهني بشقراء.
مركز التدريب المهني بالرس.
مركز التدريب المهني بحفر الباطن.
مركز التدريب المهني بالقطيف.
مركز التدريب المهني بالليث.
مركز التدريب المهني بالنماص.
مركز التدريب المهني بعفيف.
مركز التدريب المهني بجيزان.
مركز التدريب المهني بالخرج.
مركز التدريب المهني بمحائل عسير.
مركز التدريب المهني بنجران.

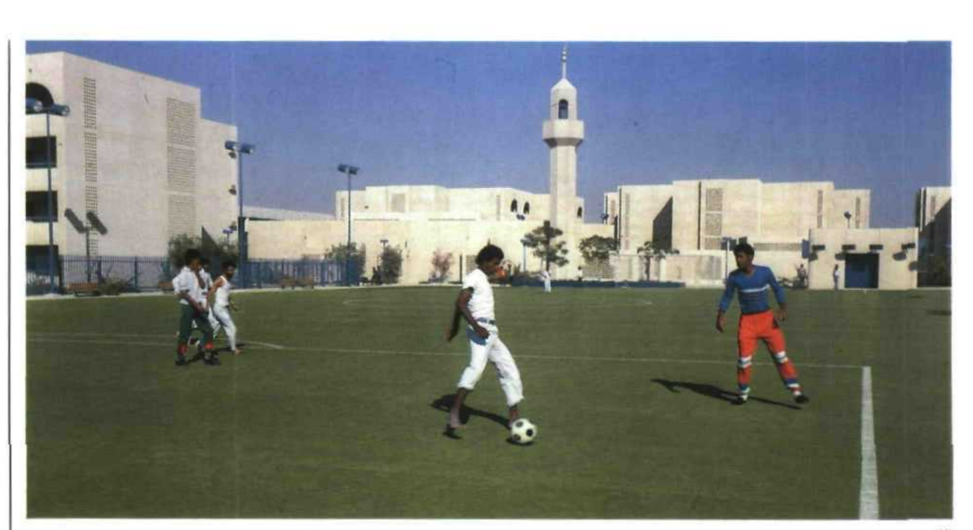
مراكز تحت التجهيز:

مركز التدريب المهني بالطائف.
مركز التدريب المهني ببيشة.
مركز التدريب المهني بالافلاج.
مركز التدريب المهني بالوجه.


٤

معهد اعداد المدربين ومركز الوسائل بالرياض

في ختام استطلاعنا عن الادارة العامة للتدريب المهني كان لنا وقفة لا بد منها مع جهة فاعلة من الجهات التابعة لتلك الادارة الا وهي معهد اعداد المدربين بالرياض والذي ورد ذكره مرارا في هذا الاستطلاع، وخلال حديثنا مع مدير المعهد الأستاذ المهندس عبدالرحمن عبدالله الفهيد افادنا قائلا: افتتح هذا المعهد عام ١٣٩٥هـ وكان عبارة عن مبان ادارية ملحقة بمركز التدريب المهني بالرياض حيث كان الدارسون الملتحقون به يستخدمون ورش مركز التدريب في تدريباتهم العملية. لكن هذا المعهد انتقل في محرم عام ١٤٠٦هـ الى مبناه الجديد الذي يضم جميع المرافق اللازمة بما تشمله من ورش وقاعات درس وقاعات محاضرات ومبان ادارية ومراكز ترفيهية ومبان سكنية للمدربين وعائلاتهم وللمتدربين، بالاضافة الى قسم للانتاج التلفزيوني وقسم للطبعة وقسم لاعداد الوسائل السمعية والبصرية بحيث تقوم الأقسام المذكورة



٣

١ — مجموعة من المدربين في معهد اعداد المدربين يتلقون درسا في الحاسب الآلي.

٢ — غرفة الانتاج التلفزيوني في مركز انتاج الوسائل التعليمية التابع لمعهد اعداد المدربين.

٣ — الملاعب المزروعة في مركز الاعداد المهني بالدمام وتبدو خلفها مباني المسجد والأقسام الداخلية.

٤ — غرفة المراقبة في مركز انتاج الوسائل التعليمية.

٥ — مجموعة من كشافة مركز التدريب المهني بالدمام.

٦ — مجموعة من المدربين في معهد اعداد المدربين في احد فصول التدريب.

بإعداد المناهج والبرامج التدريبية لكافة مراكز التدريب والاعداد المهني بالمملكة. وكان المعهد عند افتتاحه يقتصر على قبول مساعدي المدربين وهم خريجو مراكز التدريب المهني من المتفوقين واوائل الدورات، حيث يعين أولئك بعد تخرجهم من تلك المراكز في المؤسسة كمساعدي مدربين ومن ثم يتم الحاقهم بالمعهد في دورة اعدادية تمتد لعشرة أشهر يتلقون خلالها بعض التدريبات العملية والدروس النظرية في الرياضيات والفيزياء والميكانيكا العامة وطرق التدريب وشروط السلامة المهنية، تمهيدا لابتعاثهم الى أحد المراكز المتخصصة في بريطانيا لمدة سنتين ليعودوا بعد ذلك مدربين مؤهلين يتوزعون على مراكز التدريب والاعداد المهني.

٥

وقد توسعت بعد ذلك نشاطات المعهد ووضعت اللائحة التنظيمية له بحيث يقوم بتنفيذ عدد من البرامج الاعدادية التي يمكن تقسيمها الى ثلاث فئات: الفئة الأولى وتشمل خريجي الثانويات المهنية بحيث يلتحقون بالمعهد لمدة عام كامل، يتلقون خلاله بعض المواضيع التربوية فيما يتعلق بطرق ووسائل التدريس والتدريب والاشراف على مجموعة من المتدربين، كما يتم تزويدهم ببعض المهارات العملية لتطويرهم من متدربين الى مدرِّبين ويفترض أن يقوم المتخرج بالتدريب في مراكز التدريب والاعداد المهني وهذا البرنامج خاص لخريجي الثانويات الصناعية والتجارية. أما الفئة الثانية فتشمل خريجي الثانوية العامة (الفرع العلمي) بحيث يلتحقون بالمعهد لمدة عامين، يتم التركيز فيها على النواحي العملية وتنفيذ المهارات التدريبية المختلفة وتأهيل الملتحق ليكون مدربا عمليا بمستوى جيد بالاضافة الى تزويده بالمعلومات النظرية المهمة لتخصصه الذي يختاره وتزويده بالمعلومات التربوية فيما يتعلق بوسائل التدريب واستخداماتها وأهميتها ووسائل التدريب الحديثة. أما الفئة الثالثة فتشمل خريجي مراكز التدريب المهني من الحاصلين على الكفاءة المتوسطة المتفوقين حيث يتم قبولهم في بعض المهن والتخصصات التي لا تتطلب مؤهلات علمية تعادل الثانوية المهنية أو العامة، وهؤلاء يتم الحاقهم ببرنامج اعدادي لمدة عامين يتم التركيز خلالها على النواحي التربوية والنظرية وذلك لرفع مقدرة وكفاءة الملتحق بالاضافة الى بعض النواحي الفنية والعملية لزيادة معلوماته في هذا المجال.

ويتم الحاق العديد من المدربين التابعين لجهات حكومية مختلفة بهذا المعهد وذلك بقصد رفع كفاءتهم المهنية واطلاعهم على مستجدات المهن ووسائل التدريب الحديثة، ويجري ذلك بناء على ترشيح الجهات الحكومية التي يتبعون لها، كما يتم أيضا إلحاق عدد من مدربي مراكز التدريب والاعداد المهني بالمعهد للغرض نفسه.



٦



احد الدروس النظرية في معهد اعداد المدربين.

وعن عدد الدورات التي تم الحاقها بالمعهد، وعدد الخريجين منه منذ افتتاحه فتشير الاحصاءات الى ان الدورة الحالية هي الدورة الخامسة عشرة، وان عدد الملتحقين بها محدود جدا اذ لا يتعدى (٢٦) دارسا، وهم يمثلون العدد المتبقي من خريجي مراكز التدريب ممن لم يلتحقوا سابقا ببرامج المعهد، وذلك لأن شروط القبول للمرحلة القادمة ستكون مختلفة وستكون بمستوى تعليمي أعلى. وهؤلاء تم الحاقهم بالدورة الاعدادية الحالية لمدة عشرة شهور. ونظرا لتوفر الامكانات الخاصة بالتدريب العملي، فسيتم الاستمرار في الدورة وتمديدها لمدة سنة قادمة بحيث يكون التركيز فيها على المجالات العملية، وقد كان عدد خريجي الدورة السابقة (٦٠) خريجا، وسوف يكون عدد المتدربين في العام القادم (٨٦) دارسا في البرنامج الاعدادي للمدربين.

وقد بلغ عدد الذين تخرجوا من المعهد بانتهاء الدورة الرابعة عشرة (٦٥٧) خريجا، ومن هؤلاء تم ابتعاث (٤٦٤) الى بريطانيا، لتلقي مزيد من التدريب لمدة سنتين. وقد عاد معظمهم وباشروا عملهم في مراكز التدريب والاعداد المهني بالمملكة.

وبالاضافة الى البرامج التدريبية فان المعهد مسؤول عن تطوير المناهج لمراكز التدريب المهني واعداد وتطوير المناهج لبرامج المعهد نفسه. وحتى الآن قام المعهد بتطوير ثمانية مناهج مهنية لمراكز التدريب. وهذه المناهج حديثة ومتطورة وقد تم اثراؤها بالمعلومات الضرورية للدارس. والاستراتيجية المتبعة في اعداد هذه المناهج هي استخدام الوسيلة التعليمية بشكل مكثف للوصول الى امكانية التدريب الافرادي. أي التدريب الذي تكون فيه المادة التدريبية او الوسيلة التعليمية متوفرة للمتدرب. والتي هي في الغالب برنامج تلفزيوني مسجل على شريط «فيديو» يوضح كيفية تنفيذ المهارات المتعددة التي يتضمنها المنهاج، ويقوم الدارس بتلقي التدريب باشراف المدرب، وذلك عن طريق التوجيه وايضاح بعض الأمور التي قد تكون غير واضحة في المادة المكتوبة أو الوسيلة التعليمية.

والبرامج الثمانية التي تم اعدادها في المعهد يقوم المعهد بالاشراف على تطبيقها بمراكز التدريب المهني للتأكد من فاعليتها وملاءمتها لمستوى الدارسين. وبالرغم من اجراء بحوث ودراسات ميدانية قبل اعداد هذه المناهج، فان التطبيق التجريبي يعتبر ضروريا قبل اعتمادها كمنهاج متكامل يفي بالغرض. ولتطبيق هذه المناهج يقوم المعهد بعقد ندوات مع المشرفين الفنيين ورؤساء الأقسام والمدربين في مراكز التدريب المختلفة لتعريفهم بأسلوب اعداد هذه المناهج ومحتوياتها وكيفية الوصول الى معلومة معينة وكيفية تنفيذ مهارة معينة وتعريفهم بالوسيلة التعليمية وأهميتها بالنسبة الى هذه المناهج وتعريفهم بمتطلبات المنهج التدريبي من مواد خام وعدد اضافية وتعريفهم بأسلوب تطبيق المنهج عندما يعودون الى مراكزهم. وقد عقدت حتى الآن ثلاث دورات توجيهية لتطبيق المناهج والتحق بها حوالي سبعين مشرفا ورئيس قسم ومدربا. وقد حققت هذه الدورات أهدافها وزودت بعض مراكز التدريب — المرشحة لتطبيق هذه المناهج — بعدد كاف من نسخ تلك المناهج.

ومن الأقسام التي يضمها المعهد والتابعة لمركز اعداد الوسائل: قسم انتاج وسائل متطور وقسم تصوير فوتوغرافي متطور وقسم تصوير تلفزيوني انتاجي، وقسم طباعة انتاجي لطباعة المناهج واستنساخها وتوزيعها على مراكز التدريب، وقسم الرسوم التوضيحية الخاصة بالمناهج والقيام بعملية المونتاج لها ولصقها في مكانها الصحيح. ويضم المعهد بالاضافة الى الأقسام السالفة الذكر والتابعة الى مركز اعداد الوسائل مركزا متطورا للمصادر التعليمية يضم الكثير من المراجع والمصادر العلمية الخاصة بالتدريب وطرقه المختلفة.

ولعل فيما قدمناه آنفا، ما يلقي نظرة طيبة على مستوى هذه المرافق وما تقدمه من جهود في مضمار التدريب والاعداد المهني، علما بأن هناك مراكز للتدريب على رأس العمل موجودة في كل من الرياض وجدة والدمام وتتلخص مهامها في: «استمرار التعليم والتدريب واكتساب المهارات الجديدة أثناء العمل بطريقة منتظمة ومستمرة تواكب حاجات العمل الفعلية ولمواكبة التقنيات والأساليب الفنية الحديثة من قبل العمالة الوطنية» ويتم ذلك عبر دورات تنظمها ادارة التدريب على رأس العمل لبعض قطاع العمالة سواء في الداخل أو في الخارج.

وبحديثنا المقتضب هذا عن ادارة التدريب على رأس العمل نكون قد أتينا الى ختام حديثنا عن الادارة العامة للتدريب المهني، التي هي ادارة تابعة للمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، والتي بدورها تشمل بالاضافة الى ما سبق ذكره، معاهد للمساعدين الفنيين وثانويات تجارية ومعاهد ثانوية صناعية وكليات تقنية متوسطة ومعاهد عالية للعلوم التجارية ومعاهد فنية زراعية ومرافق أخرى مساندة تم توزيعها بشكل مناسب يغطي مناطق المملكة بحيث روعي في التوزيع احتياج كل منطقة الى مرافق تتناسب مع طبيعتها الجغرافية والبشرية وكثافتها السكانية وموقعها.

كلمة لابد منها

أصبحت عبارة «مهنة في اليد ضمان من الفقر» تحتل زاوية بارزة في ورش الاعداد والتدريب المهني. وهذه العبارة وإن كانت الآن لا تعني الشيء الكثير للعديد من شبابنا بحكم ما تتمتع به بلادنا من قفزة مادية واقتصادية تجعل الشباب او معظمهم في منأى عن الحاجة المباشرة للعمل المهني أو الحرفي اليدوي، فان الأيام القادمة كفيلة بأن تبرز حاجة الشباب الى ذلك، خصوصا من فاتهم ركب التعليم العام أو من تسربوا منه لسبب أو لآخر. وهذه الأقوال لا نلقيها جزافا وإنما نقولها من واقع التجارب التي عاشتها الدول الصناعية المتقدمة والتي كانت تتمتع بمستويات معيشية عالية جدا في يوم من الأيام. حيث نرى اليوم السواد الأعظم من شبابها يندفع اندفاع المستميت للعمل المهني والحرفي لسد احتياجاته المعيشية التي بدأت تشهد هزة عنيفة بسبب التغيرات الاقتصادية التي يشهدها العالم ككل والعالم الغربي بصفة خاصة.

لقد هيأت لنا حكومتنا الرشيدة سبل العيش الرغيد والعمل الشريف، ولم تأل الدولة جهدا في الأخذ بيد الشباب نحو مراقي العلم والعمل، والفرص المتاحة الآن تعد من الفرص الذهبية التي لا بد لشبابنا من استغلالها تجنبا للوقوع في مزالق الضياع والانحراف التي تعاني منها المجتمعات الأخرى □

تصوير: محمد صالح آل شبيب

بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته:

الطبيب ابن الجزار القيرواني (٢)

بقلم: فاضل السباعي / دمشق

يمكننا القول أن ثقافة ابن الجزار كانت تتسم بالموسوعية وبذهابها طولا وعمقا، وهو الذي كان قد صنف كتبا في الأدب، وفي التاريخ، مثلما صنف في الطب. فهو واحد من علماء عصره الأفذاذ ومن كبار مثقفيه.

ولسنا نشك في أن إقباله على التصنيف والتأليف كان مقترنا دائما بنهم للمطالعة لا حد له، وانه قد اتيح له في ذلك أن يطلع على ما صنفه في الطب معاصروه المشارقة ومن سبقهم، بدءا من تلك المؤلفات التي كان قد تم نقلها الى العربية في عصر الترجمة (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) في عهد الخليفة المأمون، وانتهاء بآخر ما صنفه الأطباء العرب من جديد الكتب وطارفها. فهو يذكر في تآليفه هؤلاء وأولئك، ويستشهد بآرائهم.

يقول، في خطبة «زاد المسافر وقوت الحاضر»، معرفا بهذا الكتاب[1]: «انا قد ألفنا كتابا جمعنا فيه عيون ما ذكره أفاضل الأطباء، من مكنون علمهم وصحيح تجربتهم ومحصر سرهم، في طريق مداواة الادواء التي تعرض في أعضاء الجسم عضوا عضوا، من أعلى الرأس الى القدمين. وسلكت في تأليفه وجمعه مسلكا بينا، مختصرا، واضحا، مشروحا مفسرا، لينظر فيه الراغب ويقتصر عليه الطالب، ويكون تذكرة للعالم الماهر، وزادا للمسافر الى البلدان البعيدة التي لا يوجد بها طبيب...»[2].

يقول انه ألف وجمع، وبالأحرى: اقتبس مما أورد الأطباء قبله في صناعة الطب. ولكنه لم يكن يحجم عن انتقاد، هؤلاء الأطباء، اذا ما توافرت لديه دواعي الانتقاد، وخاصة أولئك الذين اهتموا بـ«الدواء» أكثر من اهتمامهم بـ«الداء»: موضعه، أسبابه.. يقول، في خطبة كتاب «في المعدة وامراضها ومداواتها»، ناقدا بسخرية مرة:

(١) صدر في تونس، مؤخرا، جزء أول من هذا الكتاب الطبي الشامل، يضم المقالات الثلاث الأولى، في ذكرى الاحتفال بألفية ابن الجزار بالقيروان (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، وقد حققه كل من الدكتور محمد سويسي والدكتور الراضي الجازي، على نحو ما أشرنا اليه في الحلقة الأولى.

(٢) جاء، على غلاف الكتاب، كلمة مقتبسة من محاضرة الباحث السوري الدكتور عبدالكريم شحادة، وهي مما ألقي من بحوث في الاحتفال بالألفية المشار اليها، منها: ان هذا الكتاب «موسوعة طبية، مختصرة، شاملة، كتبت بأسلوب سهل شيق، واحتوت على كل ما يحتاج اليه الطبيب، وطالب الطب، فضلا عمن ليس بطبيب (...) فهي تشبه الكتب الطبية الحديثة المختصرة التي يطلق عليها «مسعفات الذاكرة»!

إن الاطباء قد اغفلوا في مصنفاتهم «الاستدلالات على مواضع العلل والابانة عن اسبابها المولدة لها، واشتغلوا بتركيب الأدوية فيها، مثل: تياذوق الاحمق، وجورجيس، وشمعون الراهب، ويوحنا بن ماسويه في كتابه «الكمال والتمام». وأما أهرون فقد اشترط، في أول كتابه على من قرأه، النظر في كتب جالينوس وقراءتها. ومن اتسع بكتب جالينوس استغنى عنه وعن غيره! ولا أظن القوم فعلوا ذلك الا ضنا منهم بهذا العلم الشريف!!».

ومن الفيض الذي حوته هذه «الموسوعة المختصرة الشاملة»، نحب أن نستشهد بما اورده ابن الجزار في الباب الأول (من المقالة الثالثة)، وهو يتحدث عن «الذبحة» (وهي مرض حاد يعرض في العضلات التي في جانبي الحلقوم).. يقول:

الذبحة «من الأمراض الحادة القاتلة سريعا، وانما اسميت بهذا الاسم لأنها تخنق الانسان بغتة، فيعرض له، من ذلك شدة النفس وضيقه حتى انه ربما امتنع العليل عن الطعام والشراب، فان أكل أو شرب فقليل نزر (...) والتنفس الخاص بأصحاب الذبحة هو الطويل (...لأنهم) لا يقدرون أن يستنشقوا بسرعة من الهواء بمقدار ما يحتاجون اليه...».

ويبين أن الأصناف الأقل رداءة في الذبحة هي «التي لا يعسر معها التنفس، ولكن الألم يكون شديدا مع الورم في الحلق والرقبة وحمرتها»، وأقل من هذه رداءة هي «التي لا يكون الألم فيها شديدا ولا صعبا، ولا يعسر فيها التنفس».

وفي علاج هـذا المـرض — الذي يـراه «من الأمراض العظيمـة دائمـا» — يفرق بـين أن تكـون «الفضلـة المنحدرة الى الحنجرة دموية أو صفراوية، وربما كانت بلغمية غليظة لزجة أو بلغما مالحا لطيفا...»، ويشير بفصد العليل من «القيفال»[٣]، «وذلك ان امكن الزمان، والسن، والبلد».

ويرى أن يقَوّى العضو، الذي فيه العلة، بأن يتغرغر المريض بـ«رب التوت وحده، أو مع لسان الحمل (او....) ثم يصفى، ويؤمر العليل أن يتغرغر بها...».

ويذكر، في الأخير، «صفة غرغرة الفتها، للبلة المتولدة من البلغم والاختناق ووجع الحلق: يؤخذ من ورق الورد واصل السوس، من كل واحد مثقال، (و.....) ويتغرغر به مرارا، فانه نافع مجرب، ان شاء الله تعالى».

ولا نرى ضيرا في أن نذكّر، هنا، بما أبداه الطبيب الأندلسي عبدالملك بن زهر (ت٥٥٧هـ) في كتابه «التيسير في المداواة والتدبير»، من الاهتمام بهذا المرض الخطير، وقد عرَّج، في ختام بحثه، على ما ذكره أطباء سابقون عليه في علاجهم «للذبحة المفرطة» — من غير أن ينصح بالأخذ به — «من شق قصبة الرئة شقا يكون قدره مثل ثقب الأنف الواحد أو دون ذلك»، ليتمكن العليل من التنفس منعا من الموت! وفي حرصه على التجريب والابتكار، يحدثنا أنه قام — في وقت طلبه — بشق قصبة عنز، ثم التزم «غسل الجرح بالماء والعسل حتى التأم، وأفاق (العنز) افاقة كلية، وعاش مدة طويلة»[٤].

ونقرأ في خطبة ابن الجزار في كتابه «سياسة الصبيان وتدبيرهم»[٥]، قوله: «ان معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر جليل القدر، ولم أر، لأحد من الأوائل المتقدمين، في ذلك كتابا كاملا شافيا، بل رأيت، ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك، متفرقا في كتب شتى وأماكن مختلفة، ولعل بعض الناس قد عرف بعضه وجهل بعضه...

«فلما كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، رأيت أن أجمع المتفرق من ذلك في الكتب الكثيرة، وألّفت بعضه الى بعض في هذا الكتاب، كالذي يؤلف من الجوهر اكليلا بهيا (...) وأضيف الى ما اجمع من الكتب مبوبا (...) ليسهل درسه على قارئه ويعرف حفظه على راويه، واكملت فيه احدَّ حدود صناعة الطب، الذي هو حفظ الصحة على الأبدان الصحيحة ودفع المرض عن الأبدان السقيمة...»[٦].

ثم لنقرأ هذا النص «التعليمي»، الذي استهل به ابن الجزار كتابه هذا، في الباب الأول الذي سماه «في تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم»... يقول: «ان الذي يحتاج اليه من المرأة عند طلب الولد، امران: أحدهما من البدن، والآخر من النفس (...) فالذي من البدن: ان تكون الأم خيرة صحيحة البدن،

---

(٣) القيفال: عِرْق في طرف الذراع، يمتد من الكتف الى اليد. وكان الاطباء القدامى يعتقدون أن فصده «يستفرغ من الدم أكثره من الرقبة وما فوقها وشيئا قليلا مما دون الرقبة».

(٤) «كتاب التيسير في المداواة والتدبير»: ١٤٨ — ١٥٠. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣. وانظر بحثنا: «الطبيب الأندلسي عبدالملك بن زهر من خلال كتابه التيسير»، مجلة «الدارة»: ٩٩ — ١١٥. عدد المحرم ١٤٠٦هـ/ سبتمبر ١٩٨٥م.

(٥) تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.

(٦) يقول الباحث التونسي د. الهيلة: «يبدو أن هذا الكتاب هو أول تأليف في طب الاطفال (... وان) أكثر محتوياته تناولها ابن سينا (ت٤٢٨هـ) في كتاب «القانون» الذي عرض هذه الموضوعات في نظام وأسلوب مشابه لنظام وأسلوب ابن الجزار. ولا يستبعد أن يكون ابن سينا قد اطلع على الكتاب ونقل عنه، فنحن نعثر أحيانا على بعض الجمل التي هي نقل حرفي لما في سياسة الصبيان».

وأما الذي من النفس: فصحة القريحة، وقوة الذهن، وتهذيب الخاطر...».

ثم يقول: «ينبغي أن نبتدىء في تدبيره (أي الوليد) عند خروجه، فيقطع من سرته أربع أصابع، ويملح ساعة يولد تمليحا معتدلا ليكون بذلك جلده صلبا قويا (...) فاذا ملح الصبي، فيجب أن يمر ذلك على جسده كله الا الفم والأنف. ولا يزال ذلك عليه حتى ينحط وسخه، ثم يغسل حينئذ بماء فاتر، وينظف وينقى منخراه وفوه واذناه برفق، ويفتح دبره بالخنصر فيخرج جميع ما فيه، ويقطر في عينيه شيء من زيت، وتربط سرته وتفتل فتلا رقيقا، وتوضع عليها خرقة قد غمست في زيت، ويلف الطفل في الخرق النقية لفا محكما معتدلا ويتوقى عليه البرد...».

واما الفقراء، الذين أحبهم طبيبنا وعني بهم، فقد أفرد لهم كتابه «طب الفقراء والمساكين»(٧)، وملأه نصائح ميسرة الفهم سهلة الحفظ...

لنستمع له وهو يصف «دواء يشهي الطعام وينقي المعدة: يؤخذ من أصول الاذخر درهم، وسنبل الطيب نصف درهم، يشرب بالغداة بماء حار أياما كثيرة...».

واذا اعتورت الفقير شهوة مفرطة للطعام، فانه ينصح: «يؤخذ الحبة الخضراء، وهي البطم، فتدق، ويسقى منها ثلاثة دراهم على الريق، فانها تقلل شهوة الطعام...».

ويقترب، في معالجته للفواق، من العلاج «النفسي»: «قد يسكن الفواق، اذا اخبر صاحبه بما يغممه...»!

ولعلاج الزكام: «يؤخذ قرطاس محرق، ويقرب من الأنف، ويشم دخانه، فانه يذهب بالزكام...»

«صفة مياه مغلوة يستنجين بها النساء اللواتي يجدن الرطوبات في ارحامهن...».

تلك هي مقتطفات من الكتب الأربعة التي صدرت لابن الجزار القيرواني، في العشرين سنة الأخيرة.

وبعد، لقد وصلت بعض كتب ابن الجزار القيرواني الطبية الى المشرق، ابان حياته فيما يبدو، واهتم احد الأطباء بتلخيص كتاب «الاعتماد في الادوية المفردة»، وتدوول الملخص باسم «صفات طبائع العقاقير على مذهب ابن الجزار في كتاب الاعتماد». وقد بدا أن شاعرا في بلاط سيف الدولة الحمداني بحلب، هو «محمود بن الحسين كشاجم»، قد أعجب بابن الجزار، فقال ابياتا يمتدحه فيها ويثني على كتاب «زاد المسافر..»!

وفي الأندلس، التي همَّ ابن الجزار بزيارتها ولم يفعل، كان الطبيب عمر بن بريق، الذي لازمه في القيروان مدة، قد حمل في انصرافه الى وطنه كتاب «زاد المسافر..». ولكن بدا ان كتابا آخر لابن الجزار، هو «الاعتماد في الادوية المفردة»، قد وصل الى هناك، حتى أن أحد الأطباء الاندلسيين، وهو «عبدالرحمن بن اسحق بن الهيثم»، معاصر ابن الجزار، قد ألف كتابا تعقب فيه ما رآه في «الاعتماد» من أخطاء، سماه: «كتاب الاقتصار والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد».

ولكن ابن الجزار انتشر، ايضا، في اتجاه الشمال. ذلك أن بعض مصنفاته قد تمت ترجمتها الى اللغات: اليونانية واللاتينية والعبرية.

وكان أولها كتاب «زاد المسافر..»، الذي نقل الى اليونانية، في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)، في حياة مؤلفه أو بعيد وفاته، وقد عمل هذه الترجمة «قسطنطين القليوري»، وهو طبعا غير «قسطنطين الافريقي» (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، الذي ترجم الكتاب ذاته، وعن العربية مباشرة، الى اللغة اللاتينية، ولكنه انتحله لنفسه، كعادته في نقله الكتب العربية!

وبعد هاتين الترجمتين، قام اليهودي الفرنسي «موسى بن طيبون» (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) بترجمة «زاد المسافر» الى اللغة العبرية.

وانه لانتشار وذيوع صيت يستحقها عالم فذ «قد اتخذ لنفسه مأخذا عجيبا، في سمته، وهديه، وتعدده، ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط، ولا أخلد الى لذة...»، كما قال معاصره الطبيب الأندلسي ابن جلجل□

(٧) تحقيق الباحث السوري الدكتور سلمان قطاية، باريس ١٩٨٤.

المصادر والمراجع:

١ — «سياسة الصبيان وتدبيرهم» لابن الجزار، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.

٢ — «في المعدة وامراضها ومداواتها» لابن الجزار، تحقيق الدكتور سلمان قطاية، من منشورات وزارة الثقافة والاعلام (دار الرشيد للنشر) بغداد ١٩٨٠.

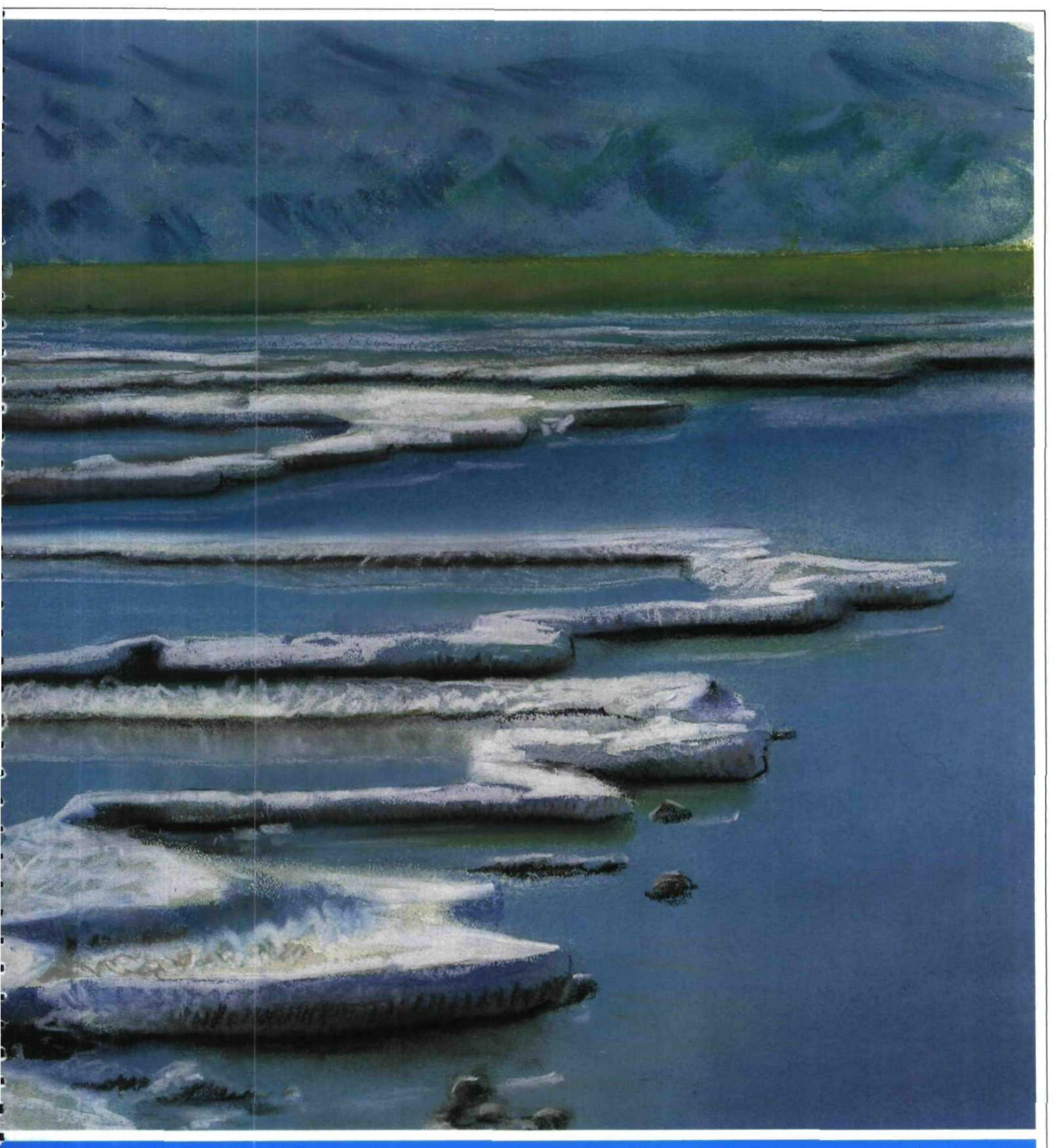
٣ — «طب الفقراء والمساكين» لابن الجزار، تحقيق الدكتور سلمان قطاية، باريس ١٩٨٤.

٤ — «زاد المسافر وقوت الحاضر» المقالات الثلاث الاولى، لابن الجزار، تحقيق الدكتور محمد سويسي والدكتور راضي الجازي، بيت الحكمة بتونس (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات)، ١٩٨٦.

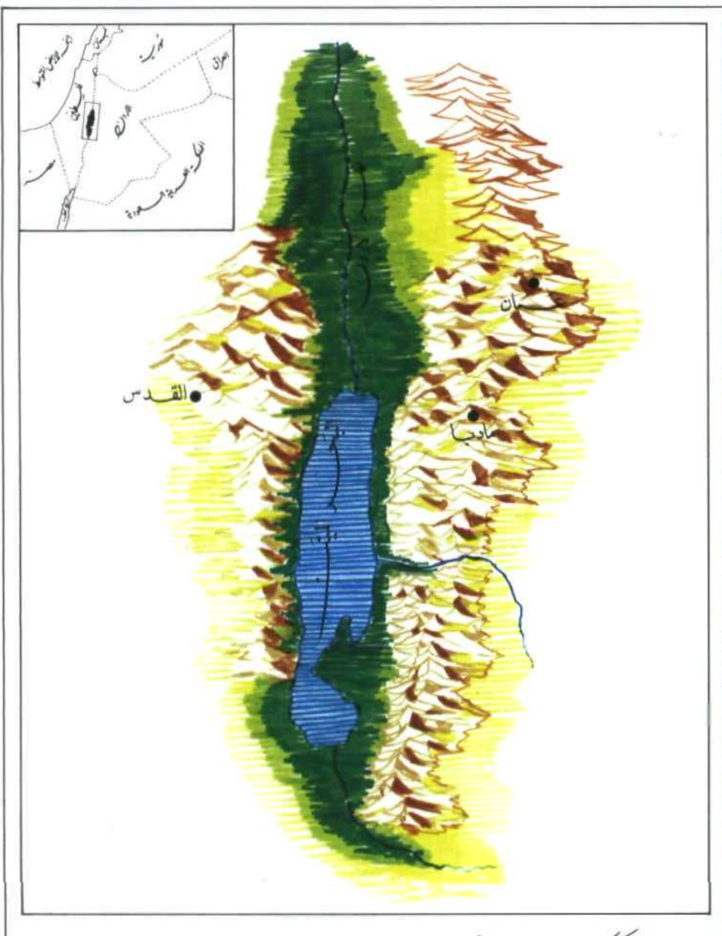
٥ — «عيون الانباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة ببيروت (السنة؟).

٦ — «قاموس الأطبا وناموس الالبا» (جزءان) للقوصوني المصري، من مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٧ — «الاعلام» للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠.

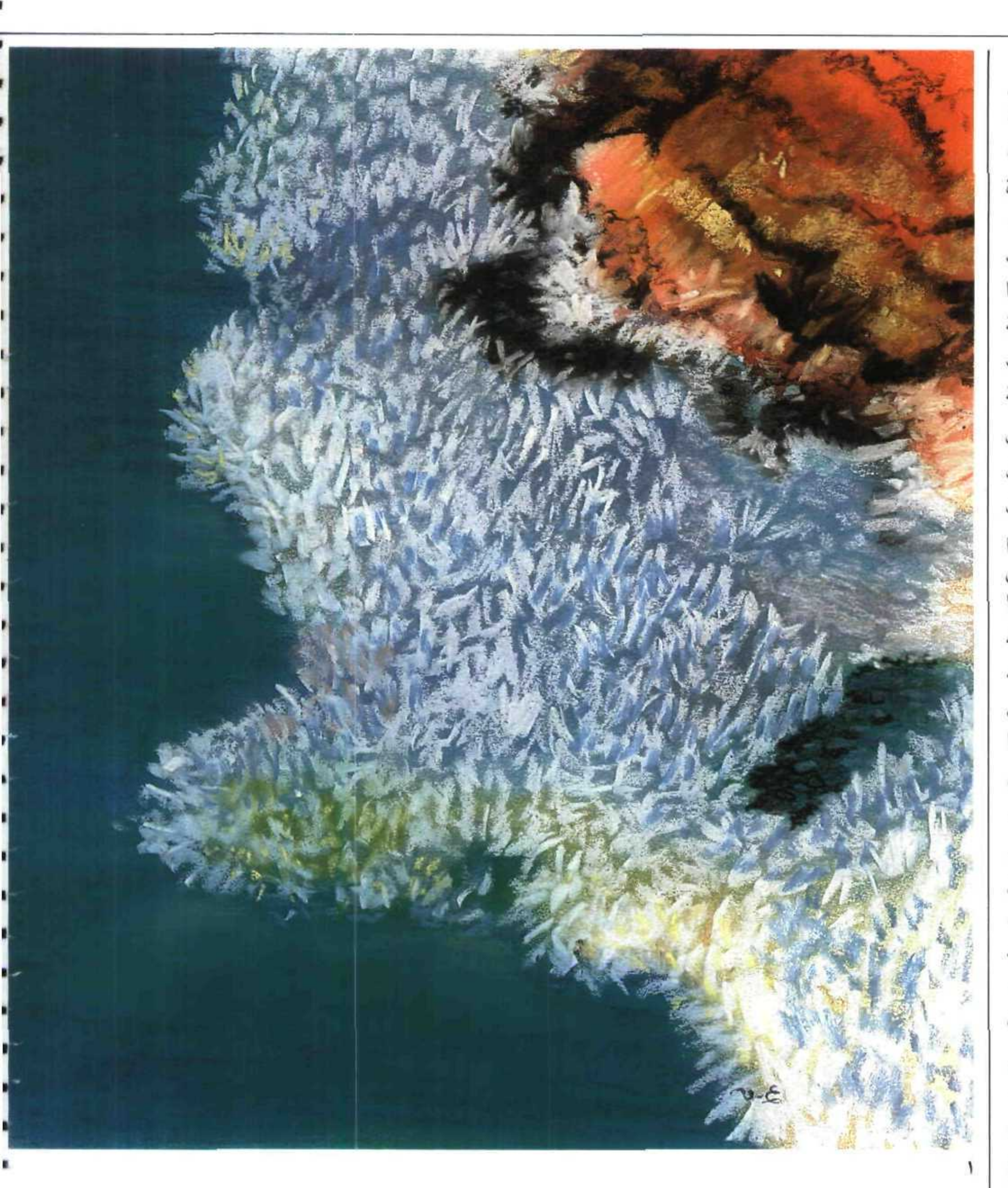


البحر الميت وتشكيلاته البلورية



تَضَاريس الأرض المتَبَايِنَة التي نشَاهِدهَا اليَوم تَكونت عَلى مَدَى مَلاَيين السّنين بفعل عَوامِل طبيْعيّة مختَلفَة ، كَالنحات والتعَرية ، والتآكل ، والزّلازل ، والبَراكِين ، التي لاتزال تعمَل عَملهَا في الصّخُور التي يتألف منهَا سَطح الأرض . والبَحر الميّت ، كَجزء مِن الكُرَة الأرضِيَّة التي نعِيش عَليهَا ، يشكِل بصُخوره الملحيَّة ظاهِرَة فَريدَة ، تستَحق الدراسَة والمشاهَدة ، نظرًا لتشكِيلاته البَلوريّة الأخاذة ، التي تَبدُو للمشاهِد كمنحُوتات فَنيَّة رائِعَة ، شكلتهَا عوامِل الطبيعَة .

سليمان نصر الله / هيئة التحرير

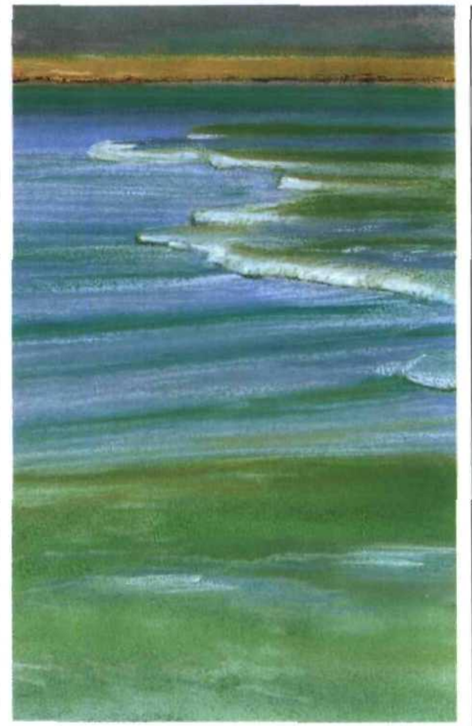


١

إن أول ما يخطر على بال كل من تسنح له فرصة مشاهدة منطقة البحر الميت، هو أن يد الحدثان قد عصفت بها، فأحالتها الى منطقة مجدبة لا حياة فيها، فتلالها ووهادها الجرد، وكثرة الأخاديد فيها، توحي بأن هذه المنطقة لا بد وأنها قد تعرضت لكوارث طبيعية مدمرة في غابر الأزمان، فتركتها خرابا يبابا. فمنذ الوهلة الأولى، يشعر المرء بالرهبة المشوبة بالانبهار ازاء تلك الطوبوغرافية الفريدة للبحر الميت والمناطق المتاخمة له، ذات الصخور الكلسية العارية، التي تردد اصداء تاريخ تلك الأقوام التي استقرت في هذه المنطقة منذ عصور سحيقة، ومن بينها قوم لوط، عليه السلام، الذين باءوا بغضب من الله لارتكابهم الموبقات والفواحش، فأنزل الله بهم أشد العقاب، اذ قلب قراهم رأسا على عقب، وعلى رأسها سدوم، فانطمست معالمها، ثم أمطر على أهلها حجارة من سجيل، اهلكت من بقي منهم، ونجى الله سبحانه وتعالى لوطا ومن معه من أهله، الا امرأته فقد أصابها ما اصاب قومها، وفي رواية انها تحولت الى عمود من الملح. ويحدثنا ابن الأثير والطبري وغيرهما من المؤرخين والمفسرين الثقات أن قوم لوط سكنوا في خمس مدن هي: سدوم، وعمرة (عامورة)، وصبعة، وصعوة، ودوما. وسدوم هي القرية الكبرى. وهناك اليوم جبل يطل على شواطىء البحر الميت من الجنوب الغربي يقال له جبل «اصدم»، وهو قريب في لفظه من سدوم كما يطلق عليه اسم «جبل الملح». وقد وردت وقائع هذه الكارثة التي حلت بهذه المنطقة، التي استوطنها قوم لوط، في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وخاصة في سورتي «هود» و«الحجر». في هاتين السورتين الكريمتين عرض لسيرة قوم لوط، وفضح لمخازيهم. وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى على لسان لوط لهم في سورة العنكبوت: ﴿**انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ۝ ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر**﴾. وتصدى لهم لوط، عليه السلام، ناهيا محذرا، فلم يزدهم ذلك الا تعنتا واصرارا على ارتكاب الفواحش، الى أن جاء أمر الله سبحانه وتعالى باهلاكهم واجتثاث قراهم، على نحو ما جاء في سورة هود اذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ۝ وجاءه قومه يُهرَعُون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ۝ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ۝ قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد ۝ قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ۝ فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ۝ مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد**﴾ ۝.

وهكذا عندما حان وقت عذاب قوم لوط، أمر الله جبريل، حسب ما رواه المفسرون، فاقتلع مدائن قوم لوط، وعلى رأسها مدينة سدوم، من تخوم الأرض حتى ادناها من السماء بمن فيها، ثم أرسلها مقلوبة، واتبعهم الله بحجارة من نار وطين. ويجمع الكتاب والمفسرون على أن موضع تلك المدن أصبح بحرا أجاجا يعرف اليوم بـ«البحر الميت». لأن مياهه الشديدة الملوحة لا ينتفع بها في شيء، كما اشتهر هذا البحر باسم «بحيرة لوط» المحاطة بتلال قاحلة لا تنبت شيئا. كما اطلق عليه البعض اسم «البحيرة المقلوبة» لأن الله رفع مدائن قوم لوط ثم أرسلها الى أسفل مقلوبة، نكالا بهم، الذين وصلوا الى حالة من الدنس والفجور والارتكاس معدومة النظير. فذهبت كل معالمها. وفي قوله تعالى: ﴿**وما هي من الظالمين ببعيد**﴾ تهديد لمشركي قريش وعبرة لأولي الألباب، واشارة الى موقع تلك البقعة، فهي قريبة منهم، يراها المسافرون في ذهابهم وايابهم من الجزيرة العربية الى الشام وبالعكس. وهناك فئة من الكتاب العرب اطلقوا على البحر الميت اسم «البحيرة المنتنة» نظرا للروائح الكريهة المنبعثة منها، ومنهم من أطلق عليها اسم «بحيرة زُغَر» على اسم ابنة لوط، عليه السلام. كما عرفه القدماء باسم «بحيرة الاسفلت» لأن كتلا من القار تظهر على سطحه وخاصة بعد وقوع الزلازل. وهكذا تعددت الأسماء والبحر واحد.

فها هو ياقوت الحموي يحدثنا في «معجم البلدان» عن «البحيرة المنتنة» قائلا: «وهي بحيرة زغر، ويقال لها: المقلوبة أيضا، وهي غربي الأردن قرب اريحا، وهي بحيرة ملعونة لا ينتفع بها في شيء ولا يتولد فيها حيوان، ورائحتها في غاية النتن، وقد تهيج في بعض



٣



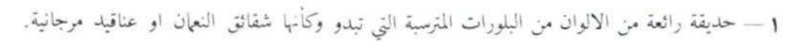
٢



٤

الاعوام فيهلك كل من يقاربها من الحيوان الانسي وغيره حتى تخلو القرى المجاورة لها زمانا الى أن يجيئها قوم آخرون لا رغبة لهم في الحياة فيسكنوها، وان وقع في هذه البحيرة شيء لم ينتفع به كائنا ما كان فانها تفسده. حتى الحطب، فان الرياح تلقيه على ساحلها فيؤخذ ويشعل فلا تعمل النار فيه. وذكر ابن الفقيه أن الغريق فيها لا يغوص ولكنه لا يزال طافيا حتى يموت». هذا وصف دقيق لهذا البحر الفريد في مميزاته وخصائصه، بيد أن الصواب جانب ياقوت الحموي عندما قال: هي بحيرة ملعونة لا ينتفع بها في شيء. فالاملاح المعدنية المختلفة في البحر الميت تشكل حاليا ثروة لا بأس بها، ويجري استغلالها استغلالا اقتصاديا. ثم أن منطقة البحر الميت تعتبر مشتى مثاليا يعز نظيره في العالم حيث تصل الحرارة في شهر يناير الى ١٦ درجة مئوية. ولهذا أقيمت على شطآنه المتنزهات الجميلة.

أمّا من الناحية الجيولوجية فقد شكلت بحيرة الحولة وبحيرة طبرية والبحر الميت كتلة مائية واحدة في العصور السحيقة، ولم تلبث هذه الكتلة، مع ما طرأ على القشرة الأرضية من تغيرات، أن انفصلت عن بعضها البعض، وبقي نهر الأردن همزة الوصل بينها. وتأتي مياه هذا النهر من قمم جبل الشيخ المكسوة بالثلوج، ثم يصب في بحيرة «الحولة» التي جرى مؤخرا تجفيفها واستصلاح اراضيها، ومنها الى بحيرة «طبرية» البالغ طولها واحدا وعشرين كيلومترا وعرضها احد عشر كيلومترا وعمقها خمسة وأربعين مترا. وتمتاز هذه البحيرة بمياهها العذبة واسماكها المتنوعة. وقد لوحظ في الآونة الأخيرة



١ — حديقة رائعة من الالوان من البلورات المترسبة التي تبدو وكأنها شقائق النعمان او عناقيد مرجانية.

٢ — ترسبات غرينية صلبة داكنة اللون تضفي على البحر الميت البهاء والروعة.

٣ — عندما تنحسر مياه البحر الميت تنشأ طبقات من كربونات الكالسيوم والجبس على وجه المنبسطات الطينية الموحلة.

٤ — عقب فترات الحر اللافح تتكون بلورات كبيرة من الصخور الملحية تشبه مكعبات السكر الشفافة.

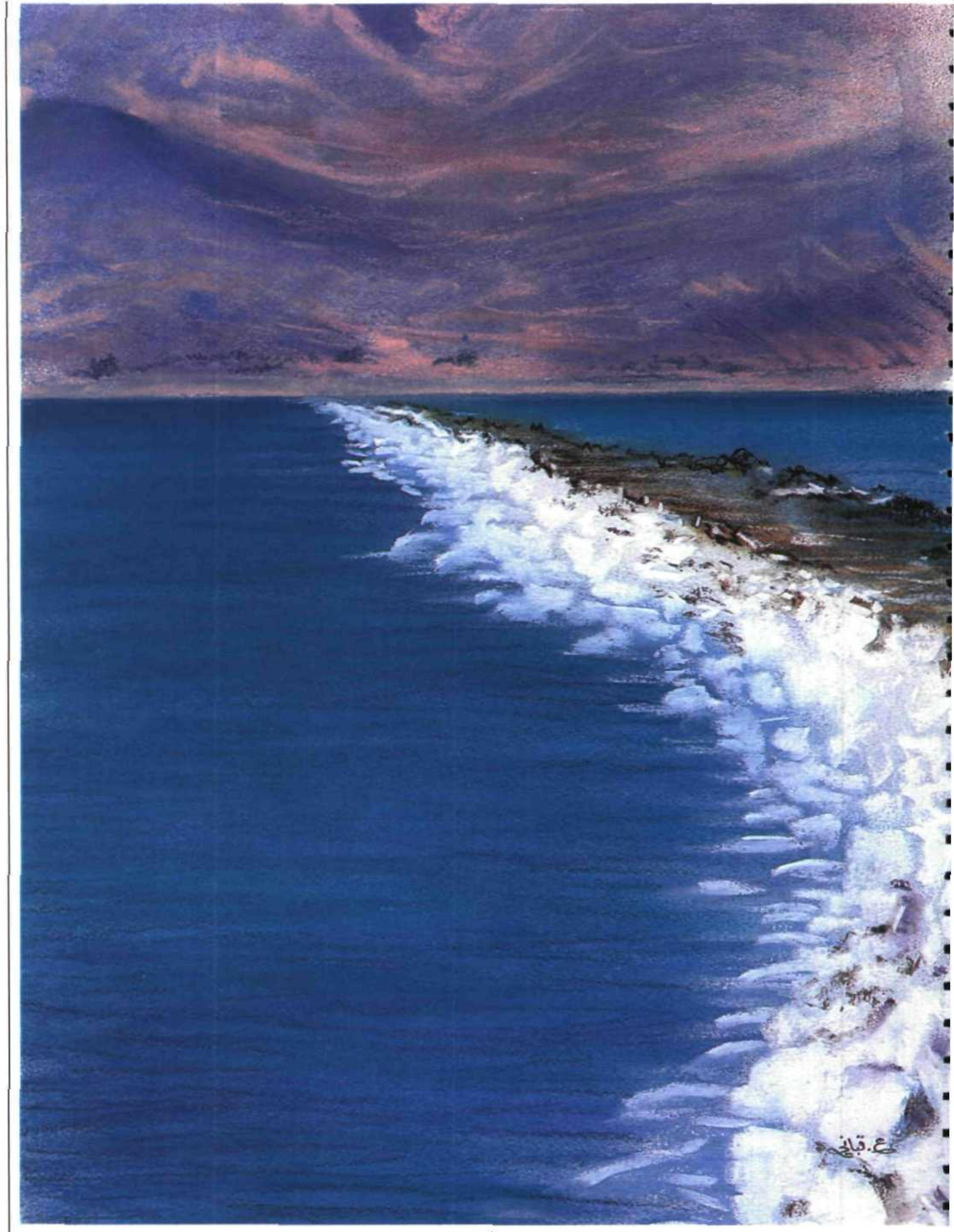
التبخر الشديد يعرض المنبسطات الطينية الى التشقق فتنشأ أخاديد ينساب الماء فيها الى البحر فتتكون فقاقيع بيض مشبعة بالهواء. اما اختلاف زرقة مياه البحر فيدل على اختلاف العمق.

انخفاض منسوب المياه فيها. ثم يخرج نهر الأردن منها ليسقي اراضي الغور حتى يصب في النهاية في البحر الميت.

لقد لقي البحر الميت عناية خاصة من قبل العلماء، والمؤرخين، والمنقبين عن الآثار، وعلماء الاقتصاد، قديما وحديثا. فيروي لنا التاريخ أن العالم جالينوس (١٣١ — ٢١٠م) كان من أوائل من اهتم بالبحر الميت، فكتب الكثير عن ملوحة مياهه، رغم مياه نهر الأردن التي تصب فيه من الشمال، ومياه وادي زرقاء ماعين وسيل الموجب من الشرق، ومياه عين جدي من الغرب. أما من الناحية الاقتصادية فتتوفر في البحر الميت أملاح معدنية كثيرة، اذ تبلغ ملوحته سبعة أضعاف ملوحة مياه البحار والمحيطات. ومن بين هذه الأملاح المعدنية كلوريد المغنيسيوم، وكلوريد الكالسيوم وكلوريد البوتاسيوم، والملح البحري، وبروميد المغنيسيوم وكلوريد المنغنيز، وسلفات وكربونات الكالسيوم، والامونياك، وحامض السلسيك، واكسيد الحديديك، واليود، وغيرها. هذه الثروات الهائلة من المواد الكيميائية قد دفعت الى بناء المصانع واستغلال مياه هذا البحر. ومما يذكر أن البحر الميت هو أكثر بقاع العالم انخفاضا، اذ ينخفض عن مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط ٣٩٢ مترا. وتبلغ مساحة حوضه ١٠٤٩ كيلومترا



تشكيلات كلسية رائعة توحي للمشاهد وكأن الثلج قد بدأ بتساقط.



البلورات الملحية المعلقة تبدو كالأمواج تتدافع في البحر الميت.

مربعا وتقسمه شبه جزيرة اللسان الى شطرين: شمالي وجنوبي. ويبلغ أقصى عمق في الشطر الشمالي نحو ٤٠٠ متر. أما الشطر الجنوبي فهو مستنقع شديد الملوحة يتراوح عمق الماء فيه بين ٦ و٨ أمتار.

والبحر الميت، رغم اسمه، فانه ليس خاملا هامدا كما يتبادر الى الذهن. ولكنه تحت تأثير العوامل الجوية، والتذبذب في درجات الحرارة، والتبخر الشديد، وتدفق المياه اليه، والأنشطة البشرية الى حد معين، كل هذه العوامل تجعله في حالة تغير كيميائي وجيولوجي مستمر، يؤثر بالتالي على التركيب الكيميائي العجيب للأملاح المترسبة فيه. ولعل أكثر ما يجتذب الانظار في البحر الميت هو تلك التشكيلات الفنية الرائعة، الغنية بالألوان، للأملاح البلورية، التي تظهر في المناطق الضحلة منه، فهي ذات أشكال هندسية بديعة تبهر الأنظار وهي تتلألأ تحت أشعة الشمس. فمنها الهرمية والمخروطية، والحلقية، والفطرية. ومنها ما يظهر على شكل أعمدة ذات تيجان كورنثية، حتى ليخال المشاهد نفسه يتجول في مدينة رومانية مندثرة، لم يبق منها الا تلك الأعمدة المصقولة. وبعض هذه التشكيلات البلورية الشفافة تظهر عائمة على سطح الماء، ثم لا تلبث أن تتشابك وتتعانق مع حركة الماء البطيئة اثر هبوب الانسام اللطيفة على سطح البحر. هذه التشكيلات الملحية البلورية تتعرض أحيانا لزخات من المطر أو تدفق مفاجيء للمياه التي تصب في البحر الميت، أو لرياح عاتية فتختفي كلية تحت الماء.

ولما كانت الايونات والنظائر الموجودة في مياه البحر الميت تتبلور بطرق مختلفة، لذا نشاهد تشكيلة متنوعة من التكوينات الطبيعية. فعلى سبيل المثال نرى رقائق من الجبس، الذي يتكون من حبيبات خشنة من كبريتات الكالسيوم المائية الداكنة اللون، تتجمع على هياكل القوارب، والصخور، وحتى على الحبال المعلقة في الماء وأجسام السابحين. وقد يتكون الجبس احيانا على هيئة كتل ليفية نتيجة لترسب كبريتات الكالسيوم المائية في مياه البحر الميت المقفول، بواسطة عمليات التبخر. والمعروف أن معدلات التبخر في البحر الميت عالية اذ تبلغ نحو ١٤ ملم يوميا، ولهذا فان مقدار ما يفقده البحر الميت من المياه يفوق مقدار ما يصب فيه من مصادر مختلفة، وبمرور الزمن تتكون في حوضه مستنقعات طينية ضحلة. ومن ناحية أخرى فان ما يترسب من أملاح وطمي في قاع البحر يعمل على رفع مستواه تدريجيا، فقد أجرى «كتشنر» مسحا للبحر الميت عام ١٨٨٤م ووجد أنه قد ارتفع نحو عشرين قدما عن ذي قبل، كما لوحظ أنه ارتفع نحو عشرة اقدام منذ عام ١٩٠٠م. ومن بين المناظر الأخاذة التي يمكن مشاهدتها في البقاع الضحلة من البحر الميت التجمعات الكثيفة من كربونات الكالسيوم البلورية، على هيئة ابر مزدوجة ملتفة حول بعضها البعض، لتشكل ما يشبه ازهار شقائق النعمان. كما يمكن مشاهدة تشكيلات رائعة من املاح الراغونيت، وهو ضرب من كربونات الكالسيوم، وفي فصل الصيف، عندما تشتد الحرارة ويزيد التبخر، تكوّن هذه الاملاح رغوة بيضاء ضبابية على سطح الماء، تبدو للعين كسحب ثلجية، لا تلبث أن تهبط وتترسب ببطء في قاع البحر مع حركة الأمواج. وفي فصل الشتاء، عندما تتعانق المياه الوافدة مع مياه البحر الميت، يكتسي سطحه بملاءة كبيرة من الزبد والفقاقيع الهوائية نظرا للتفاوت الكبير في درجة الحرارة والكثافة بين المياه الوافدة ومياه البحر الميت.

وتضيف بقع الاسفلت الطافية على سطح الماء لونا آخر الى مجموعة الألوان التي نشاهدها في منطقة البحر الميت، مما يجعل الماء لزجا. ولما كانت كثافة مياه البحر الميت تتراوح بين ١,١٦ و١,٢٥ تبعا للعمق والموقع، فان السابح فيه لا يغرق، فعندما يصل مستوى الماء الى الكتفين يلاحظ انه يدفع بالجسم الى أعلى. ولهذا نشاهد الكثيرين ممن يرتادون البحر الميت يتوقون للنزول في مياهه للاستمتاع بميزة الطفو الفريدة، والتقاط صور لهم وهم يطالعون صحيفة أو كتابا، أو يتناولون المرطبات بينما ينعمون بمشاهدة التكوينات البلورية ذات الاشكال الهندسية البديعة □

عن مجلة «ارامكو ورلد» بتصرف

في ذكرى بدر

كان لا بدَّ أن يقـوم قتـالُ   يُهلكُ الحرثَ أو يزولَ الضـلالُ
فقريش بغيِّهـا تتمـادى   كُلُّ إثـم على قُريش حَـلالُ
حين تُلْقـى على الرمـال ويَغْلي   فوقَكَ الصخرُ، ما جَنَيْتَ بِلالُ؟
«أحَـدٌ» قلتهَا بصـدق فأضحى   ذلك الصخرُ بارداً والرمـالُ

* * *

وأهاب المصطفى بصحْبٍ كـرامٍ   آن يا قَـومُ هِجْرَةٌ وارتحـالُ
طلـعَ البدرُ يا مدينة تيهي   من ثناياك قـد أطـلَّ الهـلالُ
منذ أن جـاءَ أحمدٌ صِرْتَ رمـزا   تختفي الأُطْـمُ خلفَـه والتّـلالُ

* * *

أذِنَ الله يا قريشُ بحَـرْبٍ   يتلاقـى فيهـا الهُـدى والضـلالُ
ليسَ للبغْيِ حُرمـةٌ وأمـان   فحلالٌ دماؤُكُـمْ والمـالُ!!
فاندُبي ـمكة ـ الرِّجالَ ونوحي   فإلى الأهْـلِ لـن يعودَ الرجـالُ!!
جاءتِ العيسُ مـن دِمشقَ عليهـا   لقريشٍ مهابَـةٌ وجـلالُ
وَجمَالٌ تسيرُ في غيْرِ خـوف   ليس يَخْشى بأن تُمَسَّ الجِمالُ!!
يحرسُ المـالَ من قريشٍ نفوذٌ   سوفَ يَهْوي، وهيبـةٌ ستُزالُ
من سيَقْوى على اعـتراضِ سبيلٍ   سلكَتْهُ؟ وكـمْ يثـورُ السؤالُ!!

* * *

خرجَ المصطفى بجمـعٍ قليـلٍ   يتمنَّـى ألاَّ يكـونَ اقتتـالُ
فعسَـى المالُ أنْ يُنَالَ بيُسْرٍ   فاذا الصِّيـدُ منْ قريْشٍ تُنـالُ
نَجَتِ العيسُ نحو مكـةَ راحتْ   تتهادى وترقُصُ الآمـالُ!!
وآتـى مكّـةَ الصريـخُ فقامَتْ   تتبـارَى لِحَتْفِهـا الأبطـالُ



شعر : محمد الزغاري / الكويت

نجتِ العيسُ وابن حربٍ عليها | كلّ مكرٍ الى ابن حرب يُحَالُ !
ليستِ البيضُ حبلَهُ لنجاةٍ | إنما الرّايُ للنجاةِ حِبالُ ! !

* * *

ودعاهُمْ الى الرجوعِ ابنُ حربٍ | صمتَ العقلُ واستشاطَ انفعالُ !
قد قضى الله في قريشٍ قضاءً | هل يعودونَ؟ ذاكَ أمرٌ مُحَالُ
كيفَ ينجونَ والقضاءُ عليهم | نافذٌ والنجيعُ سوف يُسَالُ
فأبو جهلٍ والشياطينُ تعوي | مِنْ حوالَيْهِ هدَّدوا فأطالوا
قال: واللاتِ سوف نبقى ثلاثاً | يبلغُ الناس عن قريشَ الفِعَالُ
سنُلاقي محمداً برجالٍ | يبرزُ الموتُ حيثُ صالوا وجالوا
ويدور الحديثُ قد كان دينٌ | ونبيٌّ وصحبُهُ، ثمَّ زالوا
كذبوا فالفَناءُ باتَ عليهِمْ | قدَراً، بل وللجَحيمِ المآلُ

* * *

ورنا للسماء أحمدُ يدعو | وتوالى مِنَ الرسول ابتهالُ
قُضِيَ الأمرُ يا قُرَيْشُ وشاهَتْ | أوجُهُ الشِّركِ واعتلاها خَبالُ
هُزِمَ الكُفْرُ فالصناديدُ أسرى | وقيودٌ تشدُّهُم وحِبالُ
وببدرٍ وكَمْ تهاوى قتيلٌ | وطِئَتْهُمْ سنابكٌ ونِعَالُ
صرَعَ المسلمونَ عمّاً وخالاً | ليس في المشركينَ عَمٌّ وخالُ

* * *

قد شفى النصرُ في الصدورِ جراحاً | إنما الثأرُ كالحروب سِجَالُ
وعلا نجمُ أحمدٍ، فتراه | في صعود ومجدُه لا يُطالُ
ذاك يومٌ ونصرُ رَبٍّ عظيمٍ | جَلَّ رَبٌّ لنا عليهِ اتكالُ





بلغ العرب في الجاهلية درجة عالية من البلاغة والبيان، وكانوا أهل دراية بالمنطق الصائب، والتعبير الجزل، والقول المبين. ولقد شهد لهم بذلك كتاب الله الذي لا يبارى في فصاحته وبلاغته فقال:

﴿فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد..﴾... الأحزاب

وقال:

﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم..﴾.. المنافقون

ومن أجل ذلك كانت معجزة الرسول صلوات الله وسلامه عليه: التي أفحمهم بها وأسكتهم: أن دعاهم الى مجاراة هذا القرآن في أسلوبه وبديع نظمه. ولكنهم عجزوا عجزا صارخا، وأصيبوا بالعيّ والفهاهة، وسجلوا على أنفسهم فشلا ذريعا في هذا المجال.

ويعرض علينا الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين»: كيف كانوا يصفون كلامهم في شعرهم وخطابتهم: «ببرود القصب الموشاة وبالحلل والديباج والوشي وأشباه ذلك..»[1] وكثيرا ما وصفوا خطباءهم بأنهم مصاقع لسن. كما وصفوهم باللوذعية والرمي بالكلام العضب القاطع. وفي أمثالهم: جرح اللسان كجرح اليد، ويروى أن الرسول الكريم، وهو سيد الفصحاء، استمع الى بعض خطبائهم فقال: «**إن من البيان لسحرا**..»[2].

«ونفس أدبهم الذي خلفوه يحمل في تضاعيفه ما يصور فصاحة منطقهم، وكيف كانوا يتأتون للكلام، حتى يبلغوا به كل ما يريدون من استمالة القلوب والأسماع. ولقد لقبوا شعراءهم ألقابا تدل على مدى احسانهم في رأيهم مثل: «المهلهل والمرقش والمثقب والمنخل والنابغة. وكأنما كان هناك ذوق عام، دفع الشعراء والخطباء الى تحبير كلامهم وتجويده..»[3].

وكانت للعرب أسواق أدبية، ومجالس تدار فيها رحى الجدل والمناقشة، ثم يحكم فيها بالفوز والسبق للشعراء النابغين والخطباء المفوهين. كما كان من أمر «النابغة الذبياني». فلقد كان الشعراء الناشئون يحتكمون اليه، فمن نوه به طارت شهرته الى الآفاق، كما كان من أمره عندما فضّل الأعشى على حسان بن ثابت، وفضّل الخنساء على بنات جنسها وعلى حسان أيضا.. فثار حسان وقال للنابغة: أنا والله أشعر منك ومنها ومن أبيك.. فقال له النابغة: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة: إنك قلت الجفنات، فقللت العدد، ولو قلت لنا الجفان لكان أكثر. وقلت: يلمعن في الضحى.. ولو قلت: يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح.. لأن الضيف أكثر طروقا بالليل. وقلت: وأسيافنا. فقللت أسيافك ولو قلت وسيوفنا لكان أكثر. وقلت: يقطرن فدللت على قلة القتل. ولو قلت يجرين

(1) البيان والتبيين ١/٢٢٢. ط لجنة التأليف والنشر.

(2) البيان والتبيين ١/٣٤٩.

(3) «البلاغة تطور وتاريخ» ص/١. د. شوقي ضيف.

لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدوك. فقام حسان منقطعا منكسرا..[٤]

ولعل أمثال هذه الملاحظات دفع شعراء كثيرين: ان يطيلوا النظر، ويمعنوا في التأمل، ويراجعوا القول مرة ومرة، ليخرج نتاجهم للناس مصقولا مهذبا، ومن هؤلاء: «زهير بن أبي سلمى والحطيئة». حتى وصفهما الأصمعي فقال:

«زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر»..

وكان الشعراء حينئذ يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، وكانوا يسوقون احيانا ملاحظات لا ريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية. ومن يتصفح أشعارهم يجدها تزخر بالتشبيهات والاستعارات، وتتناثر فيها من حين الى حين: ألوان من المقابلات والجناسات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يعنون عناية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في معارضه البليغه.

ظهور الإسلام كان نقطة تحول

وبعد ظهور الاسلام: اشتدت هذه العناية وأخذت تنمو، وكان في القرآن الكريم من أساليب الفصاحة وطرق البلاغة، ما جعل العرب ينشطون لمعرفة الأسرار المعجزة لكتاب الله. وكذلك كان حديث الرسول الأعظم، ﷺ، يقطر اشراقا وسموا، ويفيض بلاغة وعذوبة. وفيه يقول الجاحظ:

«إنه لم ينطق الا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أفصح معنى من كلام النبي، صلى الله عليه وسلم»[٥]. وقد رضع الصحابة من لبان الفصاحة القرآنية، ورتعوا من معين البلاغة النبوية، فكان منهم الخطباء المصاقع الذين لا يشق لهم غبار من أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. ويضرب الرواة مثلا لبلاغة عمر: أنه كان يستطيع أن يخرج الضاد من أي شدقيه شاء[٦]. وكان علي لا يبارى فصاحة وبلاغة.

وكان للصراع القولي بين المسلمين والمشركين آنذاك: مدرستان شعريتان: احداهما كافرة في مكة، على رأسها ضرار بن الخطاب وعبدالله بن الزبعري وآخرون، والأخرى في المدينة المنورة على رأسها حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم.

ومن هذا الصراع البياني الجبار: كسبت البلاغة العربية، صورا أدبية أخاذة بالألباب.. وبعد أن أظل الناس عصر بني أمية كثرت الملاحظات البيانية، وهي كثرة عملت فيها بواعث كثيرة منها: تحضر العرب واستقرارهم في المدن والأمصار، ورقي حياتهم العقلية وتجادلهم في جميع شئونهم السياسية والعقدية، فكان هناك الخوارج والشيعة والزبيريون والأمويون، وكان هناك المرجئة والجبرية والقدرية والمعتزلة. ونما العقل العربي نموا واسعا، فكان حتما أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب، بل أيضا في مجال الشعر والشعراء..

وفي عصر بني أمية: استمر الصراع، ولكن على نحو جديد مؤسف، لأنه بعث العصبيات القبلية التي أخمد الاسلام جذوتها. وقد اشتهر من بلغاء العصر المذكور: «زياد بن أبيه»، الذي يقول عنه الشعبي: «ما رأيت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن الا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء الا زيادا فانه كلما أكثر كان أجود كلاما».

ويقول مالك بن دينار عن الحجاج: «ربما سمعت الحجاج يخطب ذاكرا أفاعيله مع أهل العراق وأفاعيلهم معه فأظنه صادقا لبيانه وحسن تخلصه..»

وفي عصر بني أمية كذلك: قامت سوق المربد في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة مقام سوق عكاظ في الجاهلية، وتحولا الى ما يشبه مسرحين كبيرين، يغدو عليهما الشعراء، لينشدوا للناس خير ما صاغوه من أشعار.

وحمل لواء ذلك: «جرير والفرزدق» حين شبت بينهما الحرب الهجائية الواسعة النطاق، والتي صورها أصدق تصوير شعر «النقائض».

وكان بعض الخلفاء بدمشق وخاصة «عبدالملك بن مروان» يعلقون على بعض ما يسمعونه بملاحظات بلاغية نقدية طريفة، من ذلك أن «عبدالله بن قيس الرقيات» أنشد عبدالملك قصيدته البائية، فلما انتهى الى قوله:

يأتلق التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

غضب عبد الملك وقال له: قد قلت في مصعب بن الزبير:

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغمم، وجلاء الظلم، واعطيتني من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي كالذهب في النضارة[٧]... وتلك ملاحظة دقيقة بارعة، صدرت من خليفة عالم أديب، تصور ذوقه البلاغي الرفيع، وحسه النقدي الصادق.

هذه لمحات تنم عن أحاسيس دقيقة، وأذواق مولهة بالجمال البياني الأخاذ ومنها تتجلى دقة الانتقاء في عرض الألفاظ والأفكار. وهكذا عاشت البلاغة في شواهدها الرائعة في الكتاب والسنة وروائع المنظوم والمنثور، وكان العرب آنذاك مفطورين على بلاغة القول، فطرة الله التي فطر الناس عليها □

(٤) «الاغاني» ٣٤٠/٩.

(٥) البيان والتبيين ١٧/٢.

(٦) البيان والتبيين ٦٢/١.

(٧) «الصناعتين» ص/٧٣. ط. الاستانة، لأبي هلال العسكري.

غازي القصيبي

بقلم: د. مصطفى ابراهيم حسين/ الرياض

هو غازي بن عبدالرحمن القصيبي. ولد عام ١٣٥٩هـ بمدينة الاحساء بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وبها تلقى مبادىء علومه ثم تلقى بالقاهرة دراسته الجامعية. وسافر في بعثة الى الولايات المتحدة الامريكية فحصل على الدكتوراة في العلاقات الدولية. وقد تقلب في العديد من الوظائف والمناصب. كان آخرها وزيرا للصناعة والكهرباء فوزيرا للصحة. فسفيرا للمملكة العربية السعودية لدى دولة البحرين. وهو المنصب الذي ما زال يشغله حتى الآن.

مؤلفاته

تنوعت مؤلفاته بين ديوان الشعر والمقال والبحث والمحاضرة. وأهم هذه المؤلفات:

- «**قصائد أعجبتني**» — وهو كتاب يضم خمسا من عيون قصائد الشعر العربي القديم والحديث، هي: «ميمية المتنبي» و«الاطلال» للشاعر الطبيب ابراهيم ناجي، و«حديث دمية» لشاعر البحرين ابراهيم العريض، و«احلام الفارس القديم» للشاعر صلاح عبد الصبور، و«مرثية مالك بن الريب» الشهيرة. وقد عالج القصيبي كل قصيدة من تلك القصائد الخمس، من زاوية معينة، فاعتبر ميمية المتنبي نموذجا للقصيدة المسرحية، واطلال ناجي نموذجا للقصيدة الملحمية، وحديث دمية نموذجا للقصيدة الرواية، ومرثية مالك بن الريب نموذجا للقصيدة الفيلم، بينما اعتبر قصيدة احلام الفارس القديم مثلا للقصيدة السيمفونية.

والكتاب ليس من قبيل الدراسة التحليلية للشعر. بل هو نموذج للقراءة الشعرية الواعية المتذوقة. والقصيبي يورد قراءته من زاوية معينة، ثم يتبع القراءة باثبات للنص الكامل للقصيدة. وقد صدر الكتاب عن دار ثقيف للنشر والتأليف بالرياض. وصدرت طبعته الثانية. التي تعتمد عليها تلك الدراسة. عام (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م). ولم يضع المؤلف مقدمة للطبعة الثانية. ويبدو أنه أغفل التقديم للطبعة الأولى. كما لم يشر الناشر الى تاريخ صدور الطبعة الأولى.

- «**من هذا وذاك**» — ويضم طائفة من الأبحاث عددها سبعة عشر بحثا. تنوعت بين الأدب والسياسة والادارة والتربية. وعدا هذه الأبحاث، فقد تضمن الكتاب خاطرة نثرية قصيرة أشبه ما تكون بقصيدة شعرية. وستكون هذه الخاطرة نواة لقصيدة عن مدينة الرياض، ضمها أحد دواوينه، وهو «انت الرياض».
- «**في رأيي المتواضع**» — وهو مجموعة من المقالات القصيرة تأخذ طابع الخواطر. وعددها اثنتان وعشرون خاطرة في موضوعات شتى تنوعت بين الأدب والثقافة والاجتماع والسياسة والدين. وهذه الخواطر نشرت قبل أن يضمها كتاب. في مجلة «اليمامة». وأصدرتها دار تهامة بجدة. وصدرت في طبعتها الأولى عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).
- «**أبيات غزل**» — وهو ديوان شعر صغير. ضم مقطعات وقصائد قصارا. تناولت الغزل دون اغراض الشعر الأخرى. وصدرت طبعته الأولى عام (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
- «**الحمّى**» — ديوان شعر. يضم قصائد في أغراض شتى. من بينها قصيدة «الحمى»، التي استهل الشاعر بها ديوانه. وحمل عنوانها الديوان برمّته، والذي ضم سبعا وعشرين قصيدة في أغراض منوعة، وفي أشكال منوعة أيضا بين الشعر الحديث والشعر العمودي. وقد صدر هذا الديوان في طبعته الأولى عام (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- «**أشعار من جزائر اللؤلؤ**» — ديوان شعر صادر عن مكتبة دار العلوم بالرياض.
- «**قطرات من ظمأ**» — ديوان شعر صادر عن مكتبة دار العلوم بالرياض.
- «**معركة بلا راية**» — ديوان شعر. صادر عن مكتبة دار العلوم بالرياض.

اراؤه في الشعر

سجل غازي القصيبي آراءه في الشعر في مقالات أو في محاضرات. ولم يحرص على أن يكتب مقدمات لأكثر ما أصدر من دواوينه، يشخص فيها آراءه في الشعر ومنحاه فيه. وأول ما يلفتنا في آراء القصيبي، ويثير دهشتنا. انه. وهو الشاعر. قد حاول أن ينحي عن الشعر والشاعر تلك الهالة التقليدية. التي اعتاد الناس أن يحيطوهما به. حتى أولئك الذين لا يقرأون الشعر. يقول القصيبي: «ومن الأوهام الشائعة عن الشاعر. أنه أرق احساسا. وأرهف شعورا وأعمق عاطفة من بقية الناس. واذا كان الشعراء معذورين اذا تحمسوا لهذا الرأي. وعملوا على اذاعته ونشره. فلست أدري ما عذر الآخرين. لا يوجد ثمة دليل على أن الشاعر أرق من غيره احساسا. ولعل الذين عرفوا عددا من الشعراء من خلال معايشتهم، لا من قراءة دواوينهم. يدركون انهم. كباقي البشر. عرضة لمختلف أنواع الضعف البشري. من الشعراء من يتميز بأنانية لا حدود لها. ومنهم من يتصرف بقسوة وغلظة. ومنهم من يحب المال حبا يتضاءل أمام حبه لحوريات الشعر وعذارى القصيد. ومنهم من يلهث وراء كلمة مديح كطفل لمح لعبة جديدة. ومنهم من يفزع من كلمة النقد فزع المرأة من أن ترى امرأة أخرى ترتدي نفس الرداء».

ويقول القصيبي في احدى محاضراته بنادي الطائف الأدبي: «ان الشاعر ليس أذكى من غيره، ولا أحكم من غيره. ولا أشد وطنية من غيره: لا يميز الشاعر عن غيره الا انه يقول الشعر».

وهنا سؤال: هل حاول القصيبي بموقفه ذاك من الشعر ومن الشعراء أن يهدم عرش القافية الأبدي، وأن يصرف الناس عن حب الشعر وتقدير الشعراء؟ والجواب أن شيئا من ذلك لم يدر بخلده. ولم يكن هدفه. لقد حاول القصيبي. أن يهدم الهالة حوله. وان يحولها الى مجرد شعور عادي بالاعجاب والتذوق والتقدير. وباختصار فان غازي القصيبي كان واقعيا في تقديره لدور الشعر ومكانة الشعراء.

قد تكون هذه الرؤية الواقعية جدا مردها الى

دراساته الواسعة في الاتجاهات الأدبية والادارة والنظم. وقد يكون مرجعها الى عمله وطبيعة نشاطه كرجل من رجال الادارة، وكانسان عاين واقع «رجال الأعمال» من خلال عمله، ومن خلال عمل والده. قد يكون هذا أو ذاك، وقد يكون شيئا آخر في طبيعة القصيبي ومزاجه الخاص ومنهجه في النظر والتقييم. غير أن الحقيقة ان هذه الرؤية الواقعية للشعر قد نبعت منها آراء اساسية في فكر القصيبي الادبي والاجتماعي. ويمكن أن نحصر هذه الآراء فيما يلي:

— قضية الشعر والنثر.
— قضية الشعر والفكر.
— قضية الشعر والنقاد.
— قضية الشعر والالتزام.

ونحاول، فيما يلي، أن نتناول كل قضية على حدة بادئين بقضية الشعر والنثر.

قضية الشعر والنثر

يقول القصيبي: «بامكان عباد الله من الناثرين أن يحبوا بعمق وتفان، وان تمر بهم أعمق العواطف وأغزرها، وان يعيشوا تجارب تفوق في أصالتها وروعتها تجارب أعظم الشعراء. ومن الأوهام التي تحيط بالشعر وتأبى أن تفارقه، وهم مؤداه أن الشعر يفوق غيره من وسائل التعبير الفني. وهذا الوهم هو الذي يدفع كل طالب في المدارس الثانوية الى تجربة حظه مع الشعر، وهو الذي يدفع بعض كتاب النثر الفني الى الاصرار على أن ما يكتبونه شعر. وهو الذي يجعل معظم الشعراء يشعرون بشيء من الزهو والتعالي على غير الشعراء. والحقيقة، ومعذرة للشعراء من القراء، هي أن الشعر من حيث المبدأ، لا يتمتع بأي ميزة على غيره من وسائل التعبير. بوسع قطعة نثرية أن تكون أروع وأجمل وأعمق أثرا من قطعة شعرية. بوسع مسرحية أن تثير في قارئها من النشوة الفنية ما لا يثيره مائة ديوان. بل ان الكلام العادي يتفوه به انسان عادي، قد يكون — في بساطته وعفويته وصدقه — أروع من أعمق الرموز الشعرية».

والذي يثير الدهشة في كلام غازي القصيبي أن واحدا من الشعراء ينتصر للنثر، ويفضل نماذجه الرفيعة على مائة ديوان من الشعر. ولو وضعنا عبارة القصيبي المتقدمة امام قارىء وأغفلنا نسبتها اليه كشاعر، لتوهم أي قارىء ان يكون كاتبها واحدا من كبار الناثرين. وصلت به العصبية للنثر حدا بعيدا كما وصل تحامله على الشعر حدا أبعد.!!

لقد تعودنا أن نقرأ للأقدمين معارك في (المفاضلة بين الشعر والنثر)، وكان الشعراء متعصبين على النثر، مزهوين بمزايا الشعر، وبمكانتهم في التاريخ. وكان الناثرون مباهين بالنثر، وبالمكانة التي بلغوها، حين صاروا كتابا للدواوين، وذوي حظوة لدى ذوي السلطان، نافسوا بها أهل القصيد. ولم يحدث — قط — أن وقف شاعر وقفة موضوعية، يذكر فيها ما للنثر من حق. فقد كانت قضية (المفاضلة بين الشعر والنثر) ترتكز على النفع الخالص، والمنافسة على الزلفى والحظوة. من هنا خطورة ما يقرره القصيبي.

قضية الشعر والفكر

يقول القصيبي: «ويتفنن بعض النقاد في وضع قائمة للمواصفات، التي يجب أن تتوفر في الشاعر حتى يحظى برضاهم. ومن هذه المواصفات.. ان الشاعر يجب أن يكون مفكرا عظيما في الوقت نفسه. لا جدال في أن الموهبة المدعمة بثقافة واسعة أقدر على التعبير والابداع من الموهبة، التي تتغذى على نفسها. ولكن الايمان بذلك شيء، واشتراط أن يكون الشاعر مفكرا عظيما شيء آخر. بإمكان الشاعر أن يكون مبدعا دون فكر عظيم. لقد أهمل التاريخ الأدبي أشعارا لفلاسفة نابغين، واحتفظ بأشعار لمجانين وموسوسين. ولست أدري أي فكر عظيم يختبىء خلف اشعار «بودلير» أو «ريلكه» أو «بايرون»؟ وأي فكر عظيم عند شعراء معاصرين عرب مثل «السياب» و«ناجي» و«أبو ريشة» و«نزار قباني».

وكلام غازي القصيبي مقبول في عمومه، من حيث ضرورة الثقافة للشاعر، ومن حيث رفض التلازم بين الفلسفة والشعر، اذ ليس من اللازم المحتوم ان يكون الشاعر فيلسوفا. غير أن هناك حقيقتين:

الأولى: أنه وان لم تكن هناك علاقة حتمية بين الشعر والفلسفة فانه من اللازم أن يتمخض نتاج الشاعر، في النهاية، عن رؤية وموقف. رؤية شاملة للكون والانسان والحياة وما وراء الحياة. صحيح أنه لا يتناول ذلك بمنهج فلسفي كالمعري وابن عربي والمتنبي. ولكن في عفوية وبساطة، فالشاعر، اذن مفكر، وان لم يكن فيلسوفا في كل الأحوال. ولكنه لن يكون ابدا مجرد عازف يطرب الناس بأوزانه وقوافيه وايقاع صياغته دون رؤية خاصة ومضمون خاص.

ولهذا فمن المبالغة قول القصيبي مثلا: «لقد أهمل التاريخ الأدبي أشعارا لفلاسفة نابغين، واحتفظ بأشعار لمجانين وموسوسين». اما السياب وناجي وابو ريشة ونزار قباني، فأشعارهم، على رقتها وعفويتها، لم تفقد البعد الفكري. فوراء شعر كل شاعر منهم رؤاه ومواقفه. لكن هذه الرؤى والمواقف لا تتكشف الا بدراسة شاملة واعية لابداع كل منهم.

ولهذا فقد خلدت آثار الشعراء الفلاسفة خلود الفلسفة، وذهبت جفاء تلك الأشعار التي قامت على مجرد التطريب اللفظي والايقاعي. ولسوف نرى من دراستنا لشعر القصيبي، أن أروع أشعاره تلك التي ضمت جناحيها على رؤية وموقف وفكر. وان غزلياته العذبة الرقيقة التي قالها في مطالع حياته الشعرية لا تتمتع بهذا القدر من التأثير العميق.

أما قضية الشعر والنقاد، وهي الحقيقة الثانية، فانها ذات صلة بمناهج شتى في النقد الأدبي. فهناك، على حد تعبير القصيبي، «ناقد يفضل أن يكون الشاعر من المتعمقين في الاساطير اليونانية»، وآخر لا يعجبه «شاعر الا اذا كانت لديه القدرة على الربط بين القضايا العامة والتجارب الشخصية». ويختم القصيبي كلامه قائلا في سخرية لاذعة: «ولعلنا لو جمعنا مواصفات الشعراء عند مختلف النقاد لوجدنا أنها تملأ دفترا شبيها بدفاتر مواصفات المشاريع الحكومية. وهذا كلام صحيح، لو اعتبرنا كلام النقاد أوامر مشددة يلزمون الشعراء باتباعها والاذعان لها، ولو جاز لنا، أيضا، أن نغفل وظيفة أساسية للنقد، وهي تفسير النص الأدبي، والكشف عن خصائصه وعوالمه الابداعية. وهذا الأساس يؤدي، بدوره، الى نتيجة هامة، هي أن الشعر يعطي النقد ويرفده، ويعين النقد على الكشف والتنظير.

تبقى بعد ذلك نقطة الالتزام في الشعر. يقول: «الذي أؤمن به، هو التزام الشاعر بالصدق مع نفسه، ومع تجاربه مع الآخرين. على الشاعر الا يزيف ضميره، والا يزيف تجاربه، والا يعرض مشاعره للبيع أو للايجار. الالتزام بهذا المعنى أمر ضروري لا بد منه لكي يعبر الشاعر عن نفسه بأمانة ونزاهة. أما الالتزام الذي يحاول بعض النقاد فرضه على الشعراء، والذي تحول الى موضة أدبية في شعرنا الحديث فمن نوع آخر.»

وواضح أن مقال القصيبي، وهو بعنوان «عن الشعر والشعراء»، قد نشره ابان جدل احتدم طويلا حول قضية الالتزام خلال الخمسينات والستينات الميلادية بصفة خاصة. وكلام القصيبي، وان لم يضف جديدا حول قضية الالتزام، فانه هو الخلاصة التي تمخض عنها الجدل الطويل حول هذه القضية، سواء بين النقاد ام بين الأدباء المبدعين.

والحقيقة التي لا خلاف حولها: ان الالتزام الصادق هو قمة التعبير الذاتي لدى الأديب الفنان والذي لا يتخلى عن الصدق الفني والنفسي. وان ارتباط الأديب بواقعه جزء لا يتجزأ من رسالته وفنه معا، شريطة الا يندفع الى الشعر الديني أو الوطني أو القومي — مثلا — لأن من واجبه أن يفعل ذلك، ولا مخافة المؤاخذة، ولكن لأن هذا الواقع هو جزء من نفسه ووجدانه، يثير منه دواعي القول. وهو ما سوف نراه في أشعار غازي القصيبي.

القصيبي شاعرا

كان القصيبي الشاعر الملتزم، فهو يعايش هموم الوطن وعناء الأمة وعذابات انسان العصر. وقبل أن نستقصي ظواهر الالتزام في ابداعه الشعري، نود أن نؤكد بأن تصور القصيبي للالتزام هو تصور الفنان، الذي لا يفرط في قيمة الفن الجمالية، كما لا يفرط في امانة الموقف ورسالة الكلمة. وحين نستعرض بعض دواوينه، على سبيل المثال، نجد أن ديوانه «الحمى» يعكس صورة واضحة لأبعاد الالتزام، ففي هذا الديوان احدى عشرة قصيدة في أغراض وطنية وقومية وانسانية. أما ديوانه «انت الرياض» فيضم ستا من القصائد. وهو في مواقفه الالتزامية يعيش واقع الأمة

العربية في محنها المتعاقبة. ويعايش من خلال «التجربة القومية» تجربة انسان العصر.

ونحاول فيما يلي أن نستعرض نماذج من التزام الشاعر. لنكشف عن جانب الفن، وجانب الموقف، وكيف ذابا في رحيق واحد. يقول الشاعر من قصيدته «يا اهلا بك» التي يهديها الى طفله «فارس» في شهره الثاني:

يا أهلا بك في زمن وأد الفرسان
اودى بجميع الشجعان
لم يبق سوى السيف المثلوم
وبذاوات القزم المهزوم
وهو يقبل قدم العدوان

فالتجربة في أساسها، تجربة اجتماعية خاصة تماما. أب يخاطب طفله في الشهر الثاني من عمره. والمنتظر أن يظل في اطار هذه الدائرة الخاصة. والمنتظر أن يعبر عن أحلامه الخاصة في وليده، وان يعبر عن فرحته الخاصة بهذا الوليد. ولكن هذه التجربة الخاصة قد انتقلت الى فلك التجربة العامة، تجربة الواقع العربي. ولم يكن دخول التجربة فلك العمومية يعني أن تفقد عنصر الذاتية، الذي هو روح كل تجربة أدبية ونبضها. وهذا ما يؤكد بأن العبرة ليست بالمضمون في ذاته، ولكن العبرة بأسلوب المعالجة وأدوات الشاعر الفنية التي يصوغ بها المضمون الشعري.

لقد وظف الشاعر اسم ابنه «فارس»، ليتحدث عن مأساة وأد الفرسان. ورسم في جمل شعرية قصار صورة مركزة لواقع المأساة.

ولغة القصيدة ثائرة صخابة تتناسب مع انفصال الشاعر من جهة، ومرارة الواقع وصخبه من جهة أخرى.

ويقول القصيبي في قصيدة أخرى بعنوان «عودة رمضان» من ديوانه (انت الرياض):

القدس بكـاء
روح تنبض فيها الأشجان
عين تتمزق والمسجد
يتململ في أسر الفجار
القدس رجـاء
يطوي ليل الارهاب الى ليل الاسراء
يتحسس رايات محمد
وكتائبه عبر الصحراء
القدس دعـاء
القدس يرتل في محنته آي القرآن
يتشبث بالحلم الغضبان
فغدا ينفد صبر البركان
ويعود العاشر من رمضان
ويثور نفير
ويضج المسجد بالتكبير
وتضيء منارته البيضاء

والايقاع هنا ليس الايقاع الصاخب الهادر في القصيدة السابقة. بل هو الايقاع الحزين المأساوي تمازجه نبرة روحية. فالقدس بكاء، وعين تتمزق، والمسجد يتململ في أيدي الفجار. والقدس يرتل آي القرآن ويضج بالتكبير.

فالشاعر هنا يستدعي تاريخ الاسلام في أوج البداية، وذروة الروحية. فالقدس يطوي ليل الارهاب الى ليل الاسراء والقدس يتحسس رايات محمد ﷺ وليلة الاسراء وروح التفاؤل هنا تمازج جو الحزن والخشوع، لأن براكين الغضب سوف تتفجر بالنصر. وبداية القصيدة حزن وخشوع ونهايتها نصر وظفر. هاتان صورتان للالتزام في شعر غازي القصيبي، وهو ـ كما قلنا ـ التزام الفن والموقف.

شاعر الغزل

يشكل الغزل في شعر القصيبي محورا اساسيا بين سائر الأغراض، كما يتسم بملامح ومشخصات في مضمونه وشكله، تعكس ملامح الشاعر الذاتية ومشخصات عالمه النفسي والفكري، ونظرته للمرأة بشكل عام. ويمكن أن نقسم الغزل، لديه، الى أنواع هي:

- غزل رومانسي.
- غزل واقعي.
- غزل موقفي.

فهو في غزله الرومانسي، مثل كل الغزليين الرومانسيين، يحلق بخيال مجنح، ويمعن في الذاتية، ويبتكر في الصورة والصياغة، ويستبطن عالمه النفسي تجاه المرأة التي أحبها. يقول من قصيدة له بعنوان «غني»:

غنـي..
غناؤك أصداء مجنحة
تطير بالروح
في دنيا من النغم
أقسمت!
لم تعرف الاوتار نشوتها
ولم يطف لحنها الاخاذ..
عبر فـم
لما هتفت بلحن الحب..
وانطلقت تأوهاتك
تروي قصة الألم
ثار الحنين
فهل في الليل عاطفة
لـم تستعر
هل ضلوع فيه لم تهم؟

وهذا اللون الغزلي يستأثر بأكثر قصائد ديوانه «أبيات». وفيه ما يشبه النزعة الروحية في مثاليته، ومنزعه الوجداني. كما لم يلجأ الشاعر الى التعبير المباشر، بل عبّر عن كل احلامه وأفكاره من خلال الصورة.

أما غزله الواقعي، فهو ليس غزل الوجد والصبابة. انه لا يتقرب الى محبوبته. ولا ينشدها كما ينشد الساري نجم السماء، ولا يغني لها اخلاصه وهيامه وهوانه. بل هو يكشف وجها آخر للحب والمحبوب: وجه الجهامة والصدود والتأبي والاعتزاز بالنفس، والبحث عن عاشقة أخرى، والادلال بشاعريته وفنه. وهذه صورة رسمها ـ قديما ـ عمر بن أبي ربيعة، وبعثها حديثا نزار قباني، وجاراه من الشعراء السعوديين القرشي والقصيبي. يقول القصيبي من قصيدة (اعذريني):

اعذريني
فليس قلبي عندي
انه عند غادة شقراء
لم اخن حبنا
ولكن قلبي فر مني
في لحظة هوجاء
اعذريني
فالنار تشتاقها الاضلع
ان كابدت صقيع الشتاء

والحب هنا حب واقعي، لأنه لا يرسم تلك الصورة المثالية التي يرسمها الغزل الرومانسي بل يرسم صورة واقعية لحب طرأت عليه حالة من الملالة أفقدته حرارته، وفي لحظة من لحظات النزوة الطارئة، وقع الشاعر في حب أخرى، وجاهر لمحبوبته بما وقع له، وطلب منها أن تلتمس له العذر.

والقصيبي في غزله الواقعي، كالقصيبي في نظرته الى عالم الشعر، فهو يمزق هالة الحب الاسطورية، وينزل بعالمه المحلق الى الأرض، ويكشف ملامح البشرية بكل نقائصها من خلال تجربة الغزل.

ولعل قمة الواقعية في غزل القصيبي تتمثل في تلك الغزليات التي تجوس مراتع الهجاء والاستعلاء على طريقة نزار قباني الذي يبدو تأثر الشاعر به في بدايات حياته الفنية خاصة. في أبيات له بعنوان «عدت» من ديوانه «أبيات» يقول:

عدت لي
وجها كئيبا شاحبا
كمساء سبحت فيه الغيوم
وعيونا نسيت ومضتها
وتمشى اليأس فيها والوجوم
ما جرى؟
كيف تلاشت نظرة

طالما كانت طريقا للوجوم؟
ما الذي غيّر هاتيك الرؤى؟
أمرور الدهر؟
أم عصف الهموم؟
لم يدم حسنك..
بل لاقى الردى
والهوى مثل سواه.. لا يدوم

فليس هناك حديث عن الجمال بل عن القبح، واليأس، والهموم. بل «الردى» الذي قضى بقانونه الحتمي على نبضة الحب.

وكما تاه عمر بن أبي ربيعة بنفسه وشعره، وبعث نزار قباني أصداء عالمه، فكذلك صنع غازي القصيبي في أبيات له بعنوان «كبرياء»:

أتيه بالشعر
بالأبيات انحتها
من الضلوع..
كما تستوقد النار..
لا لن يمر غبار الذل في شفة
يمدها بلحون الكبر تيار

ويرفض في أبيات أخرى أن يكون سخرية العيون:

لا تبحثي عني هنا..
فانني يا حلوة العيون
أرفض أن أكون
سخرية العيون

ولا نجاوز الحقيقة لو قلنا بأن قصيدة الغزل الواقعي، عند القصيبي، كانت أرحب وأعمق وأصدق تمثيلا لعالمه النفسي من القصيدة الرومانسية. ولقد أضاف بها الى «قصيدة الغزل في الشعر السعودي الحديث» ما حقق تطورا ملحوظا بعد «القصيدة الرومانسية» لدى شعراء الجيل السابق أمثال: حسين سرحان وطاهر زمخشري ومحمد حسن فقي وغيرهم من الشعراء الرومانسيين.

وآخر أنماط قصيدة الغزل عند القصيبي تتمثل في «الغزل الموقفي»، وهو ذلك الغزل الذي يعبر فيه الشاعر عن مواقفه العامة تجاه الحياة، وتجاه الواقع من حوله. وقد ظهر «الغزل الموقفي» عند القصيبي حين دخلت تجربة الشعر عنده مرحلة من مراحل النضوج. ويدور هذا الغزل في محاور محددة، منها بكاؤه — من خلال غزله — على النقاء والبراءة اللتين انحسرتا من قلوب الناس، ليحل محلها الزيف والكذب والنفاق. وهذا معنى يتكرر كثيرا عند القصيبي في شعره الغزلي خاصة. وتعد قصيدة «الحب والموانيء السود» نموذجا لهذا المعنى. كما تعد قصيدة «الحمى» في ديوان «الحمى» نموذجا لهذا المعنى أيضا.

ومن المحاور التي تدور حولها هذه الفكرة «الاصرار على النضال حتى تسترد أمة العرب شموخها»، ومن القصائد التي تمثلها قصيدة «لا تهيىء كفني» من ديوانه «الحمى».

وأخيرا فان من محاور «الغزل الموقفي» عند الشاعر غازي القصيبي حديثه الدائم عن «مأساة الشعر والشاعر في عالمنا المعاصر». وهي فكرة تشغله في شعره، كما تشغله في كتاباته ومحاضراته. فله محاضرة منشورة بعنوان «هل للشعر مكان في القرن العشرين؟». اما القصائد التي تمثل هذا المحور، فان منها قصيدة «الافلاس» في ديوان «الحمى» أيضا. يقول القصيبي من قصيدة «الحمى»:

هاتي كتاب الشعر انشديني قصيدة رائعة الرنين
كتبتها في زمن الفنون
أيام كنت ساذج العيون
قبل انتحار الوهم في اليقين
وغضبة الكهل على الجنين
وصحوتي في الواقع الحزين
هل تذكرين الآن؟ ذكريني
براءتي في سالف القرون
قبل قدوم الزمن المفتون
يبيعني حينا ويشتريني
يسكب لي الماء ولا يرويني
ويجعل الاغلال في يميني
ويزدري شعري ويزدريني

وهذه القصيدة تشخص كل مشاعر المرارة التي سكنت اعماقه وتلخصها كلمة «الحمى»، والوصف لكل الأغراض النفسية التي هي نفسها اعراض الحمى الجسدية. والايقاع اللفظي في القصيدة ايقاع هادر بالغضب والمضاضة والألم. والقصيدة كلها — وهي ترسم موقف الشاعر — تكاد تخرج على حدود القصيدة الغزلية الى اطار (الرثاء الذاتي).

وفي قصيدة «يا أعز النساء».. يتضح لنا جانب من جوانب (الغزل الموقفي) لديه في قوله:

يا أعز النساء ما أرخص
الألفاظ يجترها اللسان القؤول
فعلوا كل ما ارادوا بشعبي
وسلاحي الافعال والتفعيل
ويغيرون بالجيوش وانقض
بشعر يسر منه الخليل
يا بحار القريض ما عز بحر
لم يصنه من العدا اسطول
يا قوافيه ليت لي بدلا منك
سيفا اضمه واصول
ليتني اعرف الشجاعة يوما
بعده يشتهى ويرجى الرحيل

والقصيدة، مثل سائر قصائد الغزل الموقفي عند القصيبي، لا يكاد يصلها بالغزل الا القليل من الفاظ الحب ومعانيه، أما مضمونها الاساسي فخارج على الغزل الى شعر النضال والشكوى، وفي الأبيات السابقة —وهي مقطع من القصيدة— يسخر الشاعر بالشعر والقوافي لعجز الأشعار عن تحقيق النصر، ويعبر الشاعر عن سخريته تلك بعبارات مثل:

سلاحي الأفعال والتفعيل — انقض بشعر يسر منه الخليل — ما عز بحر لم يصنه.. أسطول.

فهو لم يلجأ الى الطنطنة والخطابية، ولم يخلع على الشعر ما ليس يرتديه الشعر، وإنما سخط على كل الأشعار لأن سلاحها في التفعيلات، ولأن بحور الشعر التي تجري على مقتضاها القصائد هي بحور عارية من أسباب القوة والمنعة. وهذه الأفكار ليست مجرد افتنان تعبيري، ولكنها جزء من موقفه العام تجاه (الشعر)، والذي اوضحناه في مستهل هذه الدراسة. وهو موقف واقعي مجرد من الحالة التي حرص الشعراء، في كل العصور، على أن يحيطوا بها مواكبهم الفخمة.

ويمكن القول بأن «الغزل الموقفي» في شعر القصيبي يسجل نوعا من التحول الجذري في ابداعه الشعري. وكأن نبض الحب التقليدي قد طغى عليه نبض الواقع العربي والاسلامي.

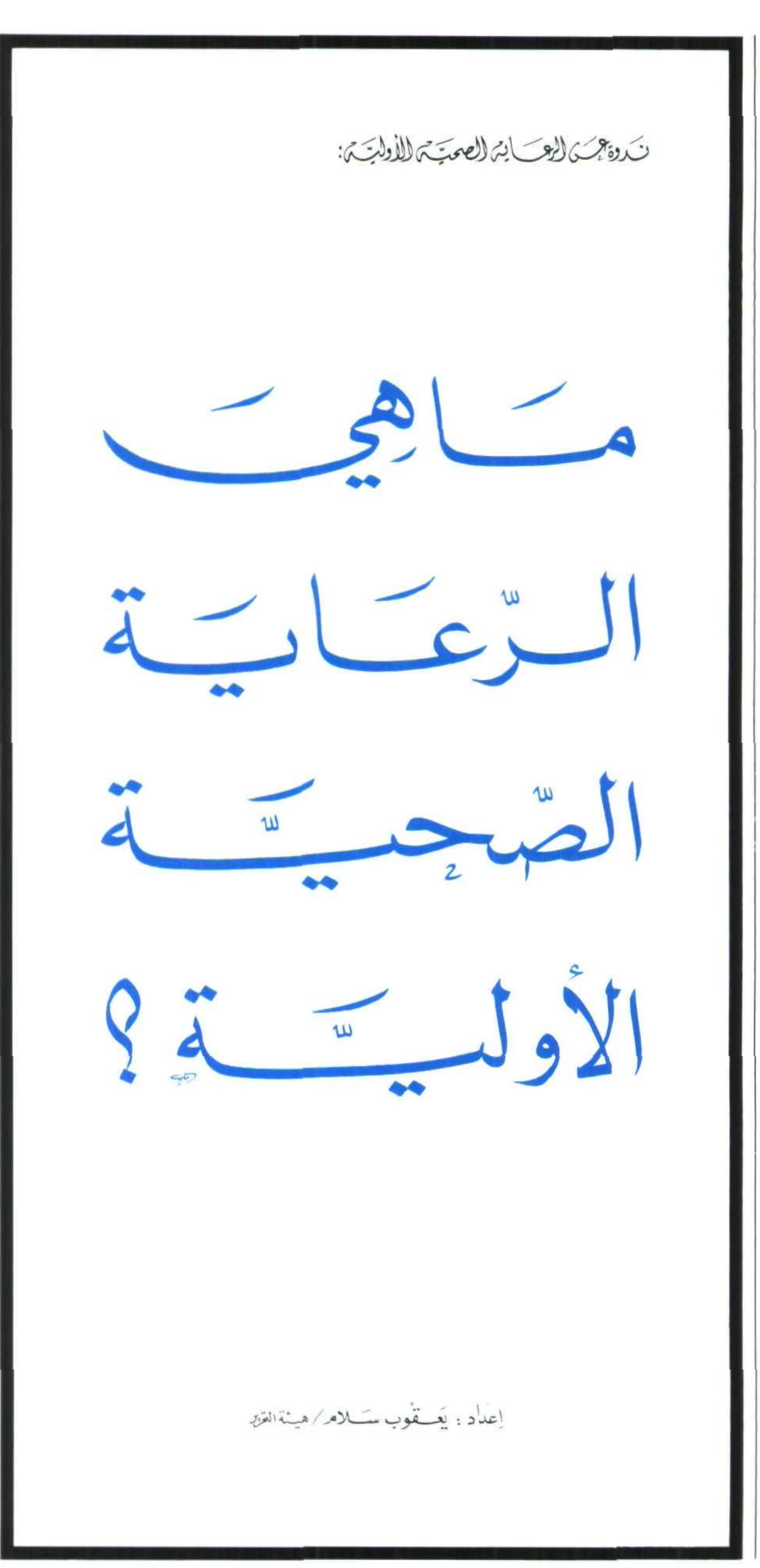
ولغازي القصيبي موقف من المرأة. وهو في نهاية المطاف موقف زاخر بالاحترام والتقدير لها. لأن غزله في كل انماطه لم يتملق من المرأة جسدها، ولم ير فيها مجرد أكلة شهية ترضي نزوة الغريزة. وإنما رآها عالما من السمو والرحمة. وتلك احدى الفوارق الاساسية بينه وبين نزار قباني. يقول القصيبي من قصيدة «حواء العظيمة» مخاطبا المرأة:

أنت السعادة والكآبه
والوجد حبك والصبابه
أنت الحياة تفيض بالخصب
المعطر كالسحابة

° ° °

ضل الألى حسبوك
جسما لا يملون اغتصابه
وضجيعة مسلوبة الاحساس
طيعة الاجابه
وذبيحة نحرت ليأتي
الذئب منها ما استطابه
وبضاعة في السوق باعتها
العصابة للعصابه

وهذه النظرة للمرأة تشخص جانبا من الالتزام كما عناه الشاعر، وهي ليست مصطنعة خارج دائرة ذاته وصدقه الفني. لأنه هنا لم يكتب الا ما يستشعره ويؤمن به. وليس من عاقل يرى أن فحاشة الأدب هي الصدق، ونظافته هي الكذب والتكلف □



سؤال طرحناه في الندوة الطبية التي يحتضنها هذا العدد حول الموضوع نفسه، لعلنا نتلمس الجواب من خلال تقليب الصفحات التالية لنقرأ ما همس به الأطباء المشاركون في الندوة للقراء الكرام.

ولشعورنا بأهمية هذا الموضوع حيث أنه يمس المجتمع افرادا وجماعات كانت هذه الندوة التي شارك فيها الدكاترة:

الدكتور زهير أحمد السباعي، استاذ طب المجتمع في جامعة الملك فيصل.

الدكتور مازن يوسف الزبدة، استاذ مساعد في جامعة الملك فيصل.

الدكتور محمد عبدالرحمن المحرج، مدير برنامج الرعاية الصحية الأولية بالمنطقة الشرقية ومدير مستشفى الخبر.

الدكتور عبدالله جعولي الغامدي، طبيب في قسم الرعاية الصحية الأولية في ارامكو.

الدكتور أحمد نجيب صعب، طبيب اختصاصي في طب العائلة في ارامكو.

الدكتور اسامة ابراهيم عبدالرازق، طبيب أطفال، مستشفى عبدالله فؤاد بالدمام.

القافلة: كيف يمكننا تعريف الرعاية الصحية الأولية؟

— **د. زهير السباعي**: الرعاية الصحية الأولية مهما اختلفت مسمياتها، هي القاعدة الاساسية للرعاية الصحية الشاملة التي تقدم الرعاية الصحية العلاجية والوقائية والتطويرية من خلال المركز الصحي عن طريق فريق صحي احد أعضائه طبيب. ولكن هناك أعضاء غير الطبيب، منهم الممرض والممرضة والمثقف الصحي. ونشير هنا الى ما قررته منظمة الصحة العالمية من خلال مؤتمرها الذي عقد قبل حوالي ثمانية أعوام وشاركت فيه ١٢٣ دولة في العالم حيث وضع في هذا المؤتمر القاعدة الأساسية التي تقول، ان الرعاية الصحية للعالم تعتمد اساسا على تطوير الرعاية الصحية الأولية. أي الشاملة.

— **د. محمد المحرج**: أضيف الى ما قاله الدكتور زهير ان الرعاية الصحية الأولية هي الخدمات الاساسية التي يقدمها المركز أو الفريق الصحي سواء كان داخل المركز أو خارجه، وتشمل الخدمات التطويرية والعلاجية والوقائية والتأهيلية بمشاركة المجتمع.

القافلة: ماذا تعني الرعاية الصحية بالنسبة للحوامل. وما هي المشاركة المطلوبة منهن؟

— **د. مازن الزبدة**: الرعاية الصحية الأولى هي خط الدفاع الأولي لحماية المجتمع والأفراد، كما أن الرعاية الصحية الأولية بالنسبة للمرأة الحامل يجب أن تبدأ قبل التفكير في الحمل. وحتى تكون الرعاية الصحية الأولية شاملة للمرأة الحامل، يجب أن تكون حالتها الصحية جيدة قبل الحمل وخالية من الأمراض الوبائية والالتهابات لأن المرأة المصابة بمثل هذه



صورة جماعية للمشاركين في الندوة.

الامراض قبل الحمل، تعرّض حالتها الصحية للتدهور وتؤثر سلبيا على الجنين. لذا انصح بأن تنظر المرأة الى صحتها قبل التفكير في الحمل، ومتى بدأ الحمل يجب أن يكون هناك برنامج للرعاية الصحية الأولية منذ بداية الحمل، وعليها أن تراجع الطبيب في المنطقة لتحديد فترة الحمل وتحديد ما اذا كانت هناك سلبيات في حالتها الصحية، واتباع برنامج صحي للاشراف على استمرارية الحمل بحالة جيدة مع عدم وجود مضاعفات تؤثر بشكل أو بآخر على صحتها وصحة الجنين.

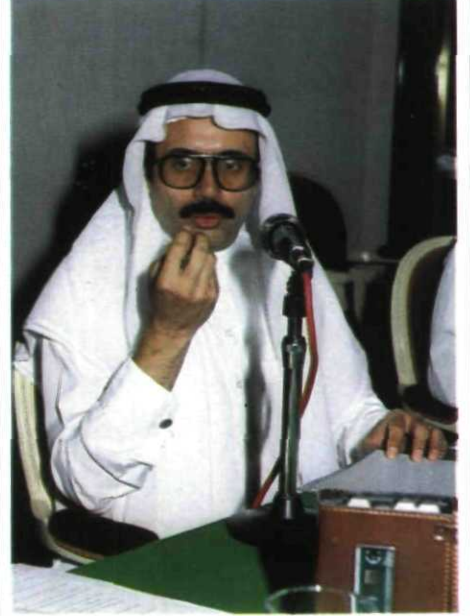
القافلة: ما هي الطريقة التي يمكن للفرد أن يشارك بها في تطبيق مبدأ الرعاية الصحية الأولية؟

— **د. اسامة عبدالرازق**: الفرد هو البنية الاساسية للمجتمع، وعليه أن يشارك، بقدر الامكان، في العملية الصحية. واذا اراد الفرد الاستفادة من الرعاية الصحية فعليه أن يساهم في العملية الصحية وأن يكون جزءا اساسيا منها. كما يتوجب عليه الاهتمام بالتثقيف الصحي واتباع الارشادات والنشرات الصحية عبر مختلف أجهزة الاعلام.

— **د. زهير السباعي**: هناك نماذج في كثير من المجتمعات ومهمتنا نحن هي الاستفادة من كل هذه التجارب. وقد أصبح الأهالي في بعض المجتمعات يشاركون في التخطيط للرعاية الصحية الأولية بما فيها صحة البيئة والتغذية والأمومة والطفولة وقد تبدأ المشاركة بمفهوم محدود وبمساعدة الفريق الطبي، والطبيب المدرك للرعاية الصحية الأولية حيث يشجعهم على فهم الجوانب الصحية والتعرف الى الضروريات الاساسية لهم. في بعض المجتمعات يشارك الأفراد في توفير مبنى مركز الرعاية الصحية الأولية فيتولد لديهم الاحساس بالمسؤولية والشعور بالمشاركة الفعلية. وفي بعض المجتمعات الأخرى، يختارون المساعدين الصحيين ويقومون بتدريبهم على حسابهم وهذا يرجع الى الوضع الاقتصادي في البلد. وبعض أنواع المشاركة يأتي عن طريق المساهمة في تمديد أنابيب المياه الصالحة للشرب. وهناك مجتمعات لم يستجب افرادها الى دعوة الطبيب بضرورة التطعيم ضد بعض الأمراض فلجأ الطبيب الى إمام المسجد الذي تحدث عن أهمية التطعيم في خطبة الجمعة فأحدث أثرا طيبا وتفهما لدى الأفراد واقبالا على التطعيم.

— **د. عبدالله الغامدي**: من الاركان الاساسية في الرعاية الصحية الأولية المشاركة الفعالة من قِبَل المجتمع وهي أن يكون لدينا الرغبة في أن نحصل على الرعاية الصحية بمعنى ألا ننتظر أن يأتي الطبيب الينا ليحثنا على التطعيم مثلا، بل أن يتخذ الفرد المبادرة الأولى والاساسية في عملية التطعيم. كما أن من أوجه المشاركة، محاولة كل فرد أن يكون له ولجميع أفراد اسرته ملف طبي خاص في المستشفى وأن يحرص على التطعيم لنفسه ولاطفاله لتجنب الأمراض. كما يجب عليه المشاركة في التثقيف الصحي ليتعرف الى طرق الحياة السليمة من غذاء ورياضة والتدريب على الاسعافات الأولية والتنفس الاصطناعي، ويجب ألا ننتظر من المستشفى أن يقوم بكل شيء، فنحن جزء منه ولا بد من تخفيف العبء عنه.

— **د. مازن الزبدة**: يندرج السؤال ضمن مفهومين، الجزء الأول وجوب توفير الرعاية الصحية من تطعيمات، ونظافة، والتخلص من النفايات، والجزء الثاني، توجيه الفرد نحو الاستفادة من هذه الخدمات من خلال مشاركته الفعلية. ولا يكفي أن نوفر المراكز والخدمات الصحية للفرد ونتجاهل كيفية توجيهه للاستفادة من هذه الخدمات، لأننا اذا تركنا الفرد، وهو غير قادر على تمييز الحالة الصحية من المرضية، فانه لن يكون قادرا على ادراك ان حالته أو حالة أسرته الصحية قد تدهورت، وقد يهمل أسرته عن غير فهم. وعندما يتوجه الى المستوصف أو مراكز الرعاية فانه يكون قد وصل متأخرا واستفحل المرض. لذلك يجب أن يكون هناك توجيه للفرد عن طريق وسائل الاعلام والاندية. كما يقع على عاتق الأفراد المثقفين طبيا المساهمة في تثقيف اسرهم وأصدقائهم.

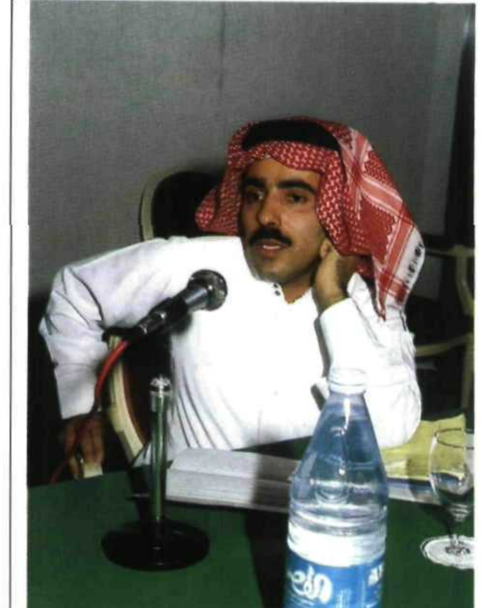


الدكتور زهير أحمد السباعي.

— **د. محمد المحرج**: نحن في وزارة الصحة مستمرون في تطبيق مشروع الرعاية الصحية الأولية، وننتظر مشاركة أفراد المجتمع سواء كان هذا الفرد يسكن المدينة أو القرية او الهجر. وبطبيعة الحال، تختلف مشاركة الفرد حسب البيئة الموجود فيها وفهمه للرعاية الصحية الأولية. فلو وجد مستنقع في قرية ما وكان لدى سكان القرية وعي صحي فانهم سيسارعون الى المساهمة بحل هذه المشكلة والتخلص من المستنقع الذي يشكل خطرا على الصحة العامة. من هنا كان لا بد من وجود القاعدة الاساسية وهي الاستعداد الشخصي والاقتناع بأهمية الرعاية الصحية الأولية والاستعداد للمساهمة في حل المشاكل الصحية.

القافلة: ما مدى تطبيق الرعاية الصحية الأولية للاطفال وكيف نضمن مشاركتهم وهم لا يعرفون معناها بحكم سنهم؟

— **د. أحمد صعب**: الاطفال يعتبرون الأهل مثلهم الأعلى، فاذا كان الأهل يهتمون بالرعاية الصحية الأولية فان الأطفال سيسيرون على خطاهم،



الدكتور عبدالله جعولي الغامدي.

ومن واجب الأهل تثقيف أطفالهم صحيا، ويجب أن يبدأ هذا التثقيف حالما يصبح الطفل قادرا على تفهم حوار الأهل معه كتحذيرهم له من مخاطر اللعب بالأشياء الحادة والأسلاك الكهربائية والنار والأدوية وعدم ترك هذه الأشياء في متناوله. ومن ثم توعيته بالنظافة والعناية بأسنانه وعدم التفريط في تناول الحلوى والمأكولات المعرضة للغبار والذباب، كما ينبغي على الأهل ألا يخلقوا عقدا نفسية لدى أطفالهم من زيارة الطبيب وتهديدهم بالحقنة مثلا.

— **د. زهير السباعي**: السؤال يوحي الي، كيف نشارك الطفل في الرعاية الصحية الأولية وهو في الواقع موضوع الساعة. وقد استحدثت منظمة الصحة العالمية مؤخرا شعارا أصبح معروفا الآن وهو «الطفل للطفل» كيف يمكن للطفل نفسه أن يرعى الطفل أو احيانا المجتمع. وهناك نماذج ثلاثة مررنا بها في بعض الأعمال الميدانية، كنا نصطحب اساتذة وطلبة من كلية الطب الى بعض المجتمعات، وكنا نخطط ليوم النظافة في القرية حيث يشترك اساتذة الطب وطلبتهم مع اساتذة المدرسة وطلابها في تنظيف القرية. يوم كامل يتفرغ فيه الجميع بما في ذلك الفتيات الصغيرات لتنظيف البيوت واخراج القمامة الى الخارج، وكان الجميع منهمكين في تنظيف القرية.

والنموذج الثاني هو أن كثيرا من الأمهات يغفلن استكمال التطعيم للأطفال الصغار. فالطعم موجود والطبيب والمساعدون الطبيون موجودون. لكن الأم تنسى ذلك. وفي هذه الحالة يمكن تهيئة تلامذة المدرسة بتوجيه من اساتذتهم حيث يكون لدى التلميذ الصغير قائمة بأسماء الأطفال الصغار في الحي ومواعيد التطعيم، وبتوجيه الاستاذ يطلب منه قرع أبواب عدد من بيوت العائلات وسؤال الأم عما اذا كانت قد أخذت طفلها للتطعيم الذي حان موعده. وهذه مشاركة جيدة تعطي الطفل الاحساس بالمسؤولية.

والنموذج الثالث هو التثقيف الصحي ونعتمد في ذلك على الصورة والكلمة وبدلا من أن نكلف كبار الرسامين في رسم دودة البلهارسيا مثلا. قد نكلف الطفل الصغير باشراف استاذه برسمها لنا. وبذلك يتعرف الى خطورتها وطرق الوقاية منها، وينقل معرفته هذه الى المنزل بأقل التكاليف.

— **د. عبدالله الغامدي**: الواقع أن الطفل في سن مبكرة لا يكون قادرا على ادراك شؤون الرعاية الصحية الاولية، لذا أرى ان الجزء الاساسي لمشاركته هو تثقيفه أولا في البيت أو من خلال توجيهات الوالدين له حول كيفية المشي معتدل القامة للمحافظة على استقامة العمود الفقري، وطريقة الجلوس الصحيحة وترويضه على اداء بعض التمارين الرياضية الخفيفة لينشأ سليم البنية.

القافلة: ما هي الثمار التي يمكن أن يجنيها المجتمع نتيجة رفع كفاءة الأفراد وتشجيعهم على الاهتمام بالرعاية الصحية الاولية؟

— **د. عبدالله الغامدي**: عندنا مثل يقول: «العقل السليم في الجسم السليم». وأنا أقول «الانتاج السليم في المجتمع السليم». فاذا استطعنا عن طريق الرعاية الصحية الأولية، أن نجعل افراد المجتمع، وخاصة القسم العامل من المجتمع في حالة جيدة، فاننا نضمن ان ترتفع كفاءة انتاجه وبالتالي يجني المجتمع هذه الثمار بفضل تمتع أفراده بالصحة الجيدة.

— **د. مازن الزبدة**: «العقل السليم في الجسم السليم» هو تعبير واقعي اذ ان المجتمع يعتمد على افراده ومتى كان افراد المجتمع في صحة جيدة كانت حالة المجتمع بأكمله سليمة. وهو بذلك يجني ثمارا كبيرة اذا ما شارك أفراده في برامج الرعاية الصحية الأولية. فيصبح مجتمعا سعيدا خاليا من الأمراض قادرا على البذل والعطاء والانتاج بشكل أفضل.



الدكتور محمد عبدالرحمن المحرج.

القافلة: اذا كان المريض ينتقل من طبيب الى آخر ويستخدم انواعا مختلفة من الأدوية. فما تأثير هذه الأدوية على جسم المريض؟

— **د. محمد المحرج**: اذا كان العلاج يتطلب مضادا حيويا مثلا. وانتقل المريض الى طبيب آخر ووصف له مضادا حيويا آخر. فان الاكثار من المضادات الحيوية دون ضابط سيكون له تأثير سيء على المريض. ولا شك. كما أن الاكثار من تعاطي هذه المضادات اضافة الى تأثيرها السيء على الجسم يبطل مفعولها، وتتولد أنواع من البكتيريا قادرة على مقاومة هذه المضادات كما حدث بالنسبة للبنسلين الذي انخفض مفعوله لكثرة تعاطيه. كذلك فان تعرض المريض بكثرة للأشعة قد يضره صحيا وماديا.

القافلة: من طبيعة المريض أن يكون مستعجلا في طلب الشفاء ويريد علاجا شافيا وسريعا. ألا ترون أن الوعي الطبي هام جدا وان على الطبيب أن يشرح للمريض مفعول الدواء ومدة الشفاء؟

— **د. اسامة عبدالرازق**: من واجب الطبيب تعريف المريض بطبيعة المرض الذي يشكو منه، اعراضه ومضاعفاته. وطبيعة عمل الدواء بأسلوب مبسط. وإفهامه بأن الدواء لا يظهر مفعوله الا بالمواظبة عليه ضمن المدة التي يقررها له. وألا يتوقع الشفاء في الحال. وهذا الشرح أو التفاهم مع المريض يولد لديه احساسا بالراحة النفسية ويساعد على الشفاء.

— **د. زهير السباعي**: أود أن أعود مرة ثانية الى الهدف من هذه الندوة وهو اعادة تصحيح المسار الذي سرنا عليه عبر عشرات السنين الماضية وهو التركيز على المريض، والطبيب، والمستشفى، وعلى علاقة المريض بالطبيب. ونسينا الجانب الآخر المكمل له وهو المجتمع. الانسان المعرض للمرض مثل الأم والطفل الصغير والشيخ الكبير والمريض في دور النقاهة وليس المريض نفسه والفريق الصحي. فلا بأس من النقاش اذا تحدثنا عن علاقة المريض بالطبيب لكن أن نتحدث عنها كجزء من الاطار العام ونعطي تركيزا أكبر على ما نسيناه وما افتقدناه خلال السنوات العشر الماضية. وهو علاقة الفريق الصحي بالمجتمع وعلاقة الفريق الصحي بالصحة وليس المرض فقط. لأن المرض هو جزء فقط.

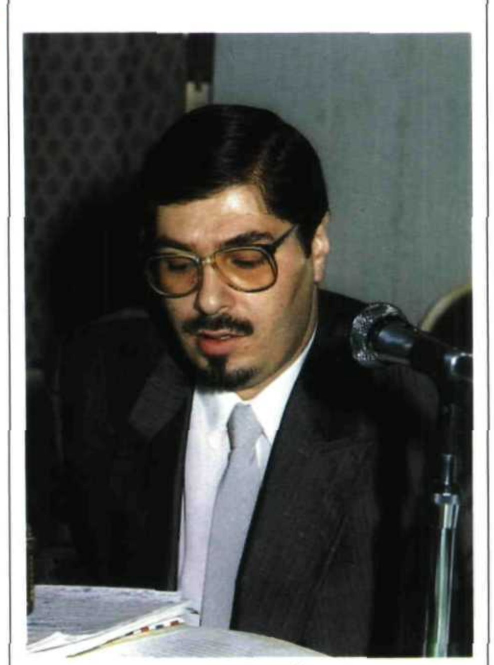
— **د. محمد المحرج**: كما ذكر الدكتور زهير لا بد من وجود تنسيق تام بين مركز الرعاية الصحية الأولية وبين أجهزة الخدمات العامة في الحي لتطبيق البرنامج الصحي لكي يستفيد الفرد من المركز وبالتالي يستفيد المجتمع في حل مشاكله الصحية.

القافلة: كيف نطبق عمليا شعار «الوقاية خير من العلاج»؟

— **د. احمد نجيب صعب**: يمكن الوقاية من الأمراض بعدة طرق منها النظافة الشخصية، ونظافة البيئة، ومتابعة التطعيم ضد الأمراض المعدية. والتأكد من الطعام ومصادر المياه. والتبليغ عن الحالات المرضيّة بأسرع وقت ممكن لتمكين الجهاز

الطبي من السيطرة عليها، وتأمين الوقاية اللازمة منها، والمحافظة على الوزن، والقيام بتمارين رياضية، ونيل قسط واف من الراحة، والقيام بفحوصات دورية في حالة الصحة لاكتشاف المرض في وقت مبكر وقبل استفحاله بحيث يصعب علاجه.

— **د. مازن الزبدة**: اضافة الى ما ذكره د. صعب يمكننا اجراء مسح عام يشمل تحليلات للدم لبعض الأمراض الوبائية أو فحوص اكلينيكية للتعرف الى سرطان الرحم في وقت مبكر، أو اكتشاف فقر الدم، أو اجراء التحليلات لمعرفة اورام الثدي، واجراء فحوص صدرية دورية بالأشعة للرجال وخاصة للمدخنين لاكتشاف بعض الأمراض مثل


الدكتور أحمد نجيب صعب.

سرطان القصبة الهوائية. ان اجراء مثل هذا المسح على فئات من المجتمع لا بد وأن يؤدي الى اكتشاف بعض الأمراض في بعض الأشخاص وتقديم العلاج لهم في وقت مبكر قبل استفحال المرض. كما أن الوقاية يمكن أن تتم عن طريق التعرف الى الأمراض الوبائية وعزل المصابين بها حتى لا يتفشى المرض في أسرهم ومن ثم في المجتمع.

— **د. زهير السباعي**: لقد اجاد الزميلان د. صعب ود. مازن في استعراض ما يجب عمله، وأضيف أيضا أن هناك جانبا مهما وهو مشاركة المجتمع بمعرفة دوره في الوقاية. وعندما نوفر له كل هذه الخدمات فانه يعطيها حقها من الاهتمام والمشاركة. فلو أخذنا مجتمع قرية وأجرينا دراسة للاحتياجات الصحية لهذه القرية، لوجدنا أنهم يطلبون المزيد من الأطباء، ومن الحقن والأشعة وغير ذلك. لكنهم لا يعبرون عن حاجتهم للتطعيم، أو المياه النظيفة، أو رعاية الأم الحامل، أو برامج التغذية. فمهمة الفريق الصحي هو تعديل هذا المفهوم ليس بالحديث أو النشرات فقط وإنما بادخال افراد معينين من المجتمع ضمن الفريق الصحي، فيتجادلون ويتناقشون ويبرزون الجوانب الصحية الهامة التي لا يدركها المجتمع، والتي هي جزء من كيانه وهي التطعيم، الجدار الواقي من الأمراض.

— **د. محمد المحرج**: علينا أن نهتم كثيرا بتحويل الحاجات الفعلية للمجتمع الى حاجات محسوسة. فالفرد عندما يصاب ابنه بالحصبة مثلا، وترتفع درجة حرارته، فانه يحس بأنه في حاجة فعلية لعرضه على الطبيب، وقد لا يرى في التطعيم حاجة فعلية لانها غير محسوسة عن طريق الاقناع والتوجيه الصحي.

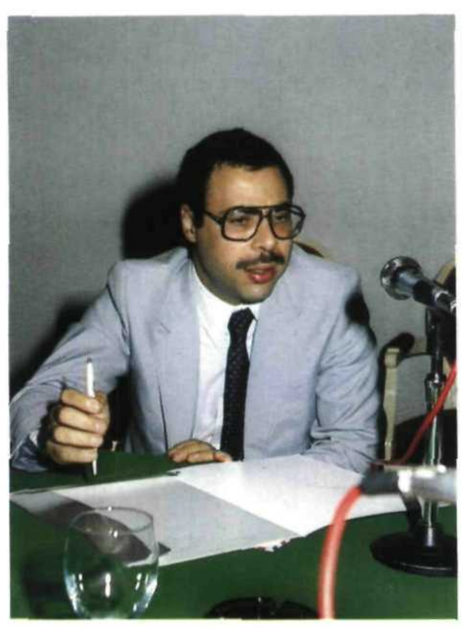
القافلة: الشخص الذي أعيق نتيجة مرض ما. هل يمكن أن يكون ذلك نتيجة عدم توفر الرعاية الصحية الأولية أو عدم فهمه لها؟

— **د. اسامة عبدالرازق**: في بعض الأمراض تكون الاعاقة نتيجة مباشرة لعدم الأخذ بهذا الاعتبار مثلا إهمال التطعيم ضد شلل الأطفال مثلا، قد يؤدى الى اصابة الطفل بالشلل والاعاقة التي تستمر معه طوال الحياة. وهناك علاقة مباشرة بين الرعاية والأخذ بها. فاذا كانت ثقافة الفرد الطبية أو تفهمه للرعاية الصحية محدودة جدا، فانه قد يتهاون في أي مرض بسيط قد يصيبه مثل أي التهاب قد يؤدي الى التهاب في العظام وتكون له نتائج وخيمة كالعرج، أو اصابات معينة في القلب تبقى مع الطفل مدى الحياة.

— **د. احمد نجيب صعب**: يمكن أن تكون الاعاقة ناجمة عن عدة أسباب يمكن تجنب معظمها عن طريق الوقاية من المرض بالعلاج المبكر، لكن أهم طرق الوقاية هي التطعيم، وأكبر مثال على ذلك داء الجدري الذي اختفى من العالم نهائيا بفضل التطعيم. وكذلك يمكن تجنب شلل الأطفال والشاهوق والخانوق والكزاز والحصبة والحصبة الالمانية وغيرها من الأمراض التي تؤدي الى الاعاقة بالتطعيم واتباع ارشادات الطبيب واستكمال التطعيمات اللازمة في اوقاتها المعينة.

القافلة: المعروف أن لكل مريض ملفا في المستشفى الذي يعالج فيه والطبيب عندما يعرض عليه المريض يراجع السجل الطبي الذي يفترض أن يكون فيه معلومات عن حالته الصحية. والمفروض أن يلاحظ الطبيب أي تغير في السجل فاذا حدث واكتشف امرا جوهريا في السجل الا يفترض منه أن يطلع ولي أمره على هذه المستجدات الطبية التي قد تكون مؤشرات لحدوث مرض ما لدى المريض؟

— **د. زهير السباعي**: الحقيقة هي أن السؤال مهم جدا لأنه يتطرق الى ركن أساسي من أركان الرعاية الصحية الأولية التي نناقشها. ومن القواعد الاساسية للرعاية الصحية الأولية أن يشارك أهل المريض أو المريض نفسه في فهم مشكلته الصحية وخاصة مثل مرض السكر. فبدون أن يعرفوا أن المريض مصاب بالسكر، فلن يكون هناك علاج، لأن علاج مرض السكر في السن الصغيرة هو الانسولين


الدكتور اسامة ابراهيم عبدالرازق.

الذي يعطى بالحقن. وهناك أطفال في هذه السن في الغرب مصابون بالسكر وقد دربوا على حقن أنفسهم بالأنسولين بدون مساعدة من أحد لأن الواحد منهم قد عاش المرض وعرف أعراضه من دوار وغثيان واحساس بالاعياء، وقد درب الطفل على حقن نفسه وتحمل مسؤولية صحته.

القافلة: هل هناك وسيلة أو مؤشرات تشير الى وجود مرض ملازم للشخص كالسكر مثلا في الفحوصات الدورية بحيث تشير الى احتمال حدوث المرض لدى المريض حتى يمكن تجنبه؟

— **د. اسامة عبدالرازق**: لو أخذنا الموضوع بصفة عامة نستطيع أن نقسم الأمراض الى نوعين، نوع يمكن اكتشافه بالمتابعة أو الفحوص قبل استفحاله، ونوع آخر يظهر فجأة بدون سابق انذار. ومرض السكر هو من الأمراض التي تظهر بدون مقدمات أحيانا. قد تكون اصابة احد أفراد اسرة المريض بهذا المرض نتيجة أحد العوامل التي تجعلنا نتوقع الاصابة. ففي بعض الأمراض التي تنحصر في النوع الثاني، نستطيع اكتشاف المرض قبل حدوثه أو بعد حدوثه وذلك من خلال الفحوص الأولية مثل مسح عنق الرحم عند النساء. كما يمكن عن طريق الفحص الدوري تحديد ابتداء الاصابة بسرطان الرحم لدى النساء.

— **د. عبدالله الغامدي**: حتى نحصل على خدمة طبية ممتازة، يجب أن ندرك أن هناك ثلاثة أركان اساسية هي المريض والطبيب والتنظيم. فالمريض عليه أن يعطي الطبيب وصفا لما يشكو منه، يكون واقعيا مع محافظته على التطعيم الذي قد نحتاج اليه في غير سن الطفولة أيضا. اما الطبيب فيجب أن يكون لديه الوقت الكافي لاستقاء المعلومات من المريض واعطاء

المريض الوقت الكافي أيضا ليشرح مرضه ومن ثم يحصل على العلاج المناسب. والجانب التنظيمي، هو الذي ينظم طريقة امداد المريض بالخدمات الطبية وتحديد الاختبارات الدورية أو السنوية له من تطعيمات وعلاجات لأي مرض قبل استفحاله.

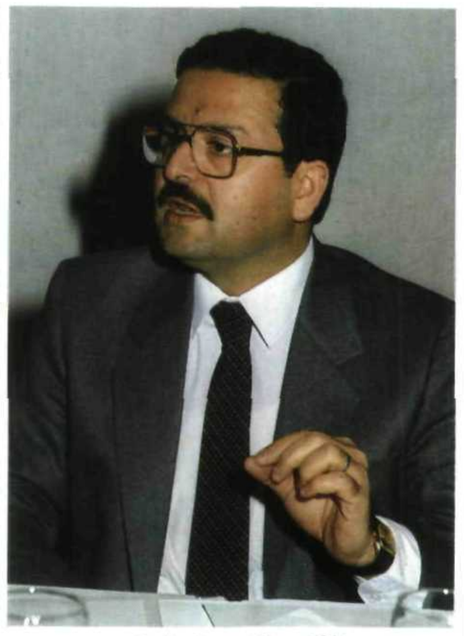
— **د. احمد نجيب صعب**: معظم الفحوص الدورية يهدف الى اكتشاف المرض قبل حدوثه وتبنى هذه الدراسات الاستقصائية عادة على أساس معرفة العوامل التي تجعل مريضا في سن معينة معرضا لأمراض معينة. وبالنسبة للحامل. يمكن اجراء الفحوص اثناء فترة الحمل والتي قد تكشف عن اصابتها بالسكر أو بأمراض اخرى أو بالتهابات في المسالك البولية. أو في حالات الشك بوجود تشوهات في الجنين عن طريق جهاز ما فوق الصوتية. كما يمكن اجراء فحوص للبراز لمعرفة ما اذا كانت هناك سرطانات في الشرج او البروستاتا. كذلك يمكن اجراء الفحص الروتيني للثدي مرة كل سنة أو سنتين. ولا يمكن اجراء كل هذه الفحوص على كل فرد في المجتمع نظرا لارتفاع التكاليف المترتبة عليها.

القافلة: المرأة الحامل والمصابة بمرض السكر هل ينتقل هذا المرض منها الى الجنين؟

— **د. مازن الزبدة**: من خلال دراسة أجريت في بريطانيا بجامعة اكسفورد تبيّن أن المرأة الحامل نفسها اذا اصيبت بالسكر أثناء فترة الحمل ولم يكن عندها سكر قبل الحمل فهي معرضة بنسبة ٢٥ في المائة للاصابة بالسكر عندما يصبح سنها ٤٠ عاما. أما بالنسبة للأطفال فقد كشفت هذه الدراسة أنه اذا أصيبت الأم بالسكر أثناء فترة الحمل. فان نسبة اصابة الطفل بالسكر تزداد ولكن ليس في سن مبكرة بل في سن الأربعين. بنسبة تصل الى ٧ في المائة وتزداد هذه النسبة اذا كان الأبوان مصابين بالسكر.

القافلة: هل يستطيع طبيب العائلة. كما هو معمول به في بعض البلدان أن يلعب دورا في تشجيع الرعاية الصحية الأولية؟

— **د. زهير السباعي**: طبيب العائلة يستطيع بل يجب ان يشجع على الرعاية الاولية. لأن مفهوم طبيب العائلة وهو مفهوم جديد وقديم في الوقت نفسه. قديم بمعنى انه يرجع الى الحرب الكونية الثانية. اذ كانت نسبة الأطباء الاخصائيين آنذاك محدودة. وكان الطبيب اذا تخرج في كلية الطب بقي يمارس مهنته كطبيب عام. ولكن مسؤولياته تظل واسعة عن طريق احتكاكه بالمجتمع والعائلات. فقد كان يعالج جميع افراد الأسرة بحيث كانت رعايته للحالة المرضية تمتد الى الحالة الاجتماعية. كان كأب روحي. اذا جاز هذا التعبير. وهذا يذكرني بالطبيب في العصور الاسلامية كالرازي وابن سينا وغيرهم. كان الواحد منهم طبيبا وفيلسوفا وحكيما. وبعد الحرب الكونية الثانية، أخذت رقعة العلوم الطبية تتسع وتتشعب، وتزايد الاتجاه نحو التخصص لدى الأطباء. وبقدر ما أفاد هذا الاتجاه، بقدر ما أساء، لأن الاتجاه



الدكتور مازن يوسف الزبدة.

نحو التخصص ازداد واتسع وأصبح المريض عندما يراجع الطبيب ويشكو من علّة ما. فان الطبيب يركز على الجزء المصاب. ولا يهتم كثيرا بالانسان ككل مع العلم أنه أصبح معروفا في الغرب أن حوالي ٧٥ الى ٨٠ في المائة من المرضى هناك مرضهم نفساني. وفي الستينات من القرن الحالي بدأ نوع من اعادة النظر في هذا الموضوع وبالذات في امريكا وكندا وحتى اوروبا وأصبح هناك تساؤل لماذا لا نعود مرة أخرى الى الطبيب العام الذي كان يمارس الطب قبل الحرب الكونية الثانية؟ ولما كانت سنوات دراسة الطب السبع مدة لا تكفي لكي يلم الطبيب بمختلف جوانب الطب العام. فقد أنشىء برنامج للتخصص في الطب العام مدته أربع سنوات أعطت الطبيب فرصة أكبر لاكتساب المزيد من المعرفة الطبية. وانتشر هذا البرنامج في امريكا واوروبا واستراليا الى أن أصبح حوالي ٢٥ في المائة من خريجي كليات الطب يتجهون للتخصص في طب العائلة أو الطب العام، وأصبح يتحتم على الطبيب الالمام بالجوانب الوقائية بالاضافة الى الجوانب الطبية وأصبح الآن تدريب الطبيب العام يشمل الجانبين. وهو الاتجاه الذي أخذنا نعمل به في المملكة وكثير من البلدان. وهذا البرنامج متبع لدى جامعة الملك فيصل بالدمام وجامعة الملك سعود بالرياض وفي البحرين.

— **د. مازن الزبدة**: اضافة الى ما ذكره د. زهير. أود أن أضيف ان الطبيب العام الذي مر في مراحل ما بعد البكالوريوس طب. قد مر بمراحل متطورة من التدريب حيث أمضى أربع سنوات كما هو معمول به الآن في الجامعة. وهذا متبع أيضا في بريطانيا حيث يمضي الطبيب العام خلال فترة تخصصه ستة أشهر في كل تخصص. ومتى انهى برنامج الأربع سنوات يكون قد ألم بالأمور الهامة كطب الأطفال والنساء والجراحة والطب الباطني والطوارىء، فيحصل على شهادة في الطب العام تمنحها له الكلية الملكية للطب العام. ولدينا في جامعة الملك فيصل شهادة تمنحها الجامعة بعد أن يكمل الطبيب البرنامج التدريسي ويتقدم للامتحانات الدورية.

— **د. اسامة عبدالرازق**: طبيب العائلة بالصورة المتبعة الآن في بعض البلدان. وبحكم علاقته الوثيقة مع العائلات التي يكون مسؤولا عن صحتها، تتاح له فرصة أكبر لتشجيع الرعاية الصحية الأولية وذلك عن طريق متابعة التطعيم بالنسبة لأفراد العائلة وغير ذلك من الأمور ضمن نطاق الرعاية الصحية الأولية.

— **د. محمد المحرج**: أرى أنه من الضروري ايجاد مثل هذا الجهاز ولا بد من التنسيق بين مختلف المستشفيات سواء كانت حكومية أو أهلية. ولقد ذكرنا أن التوعية الصحية هي أحد أهم عناصر الرعاية الصحية الاولية. ووجود التثقيف الصحي في ارامكو أو الطب الوقائي من العوامل التي تساعد على عملية التوعية الصحية، لكن عملية التثقيف يجب أن تخرج من المركز نفسه، الذي ينبغي أن يترك له امر اعداد برامج التوعية والتثقيف الصحي.

— **د. زهير السباعي**: انا مقتنع بضرورة ايجاد الجهاز المركزي الذي ستكون من مهامه وضع المعايير الطبية والاهتمام بالتدريب والتنسيق على أن لا يطغى على مراكز الرعاية الصحية الأولية، لأن كل واحد من هذه المراكز له مفاهيمه ومتطلباته حسب احتياجات البيئة. ويجب أن يكون على قدر من الاستقلالية وابراز الذات.

القافلة: ألا ترون ضرورة انشاء أقسام خاصة بالرعاية الصحية الأولية في المستشفيات لتوعية المرضى والمراجعين والمرقدين؟

— **د. زهير السباعي**: هذا الموضوع هو في غاية الأهمية، ويستقطب الآن اهتمام المؤسسات العالمية ومنظمة الصحة العالمية، وهو دور المستشفيات في دعم الرعاية الصحية الأولية وأذكر انه عقد اجتماعان للرعاية الصحية في كل من «كراتشي» و«جنيف» قبل عامين. وكان مدار البحث فيه هو كيف يمكن للمستشفيات دعم الرعاية الصحية الأولية. فهناك حوالي ١٥ في المائة فقط من الحالات المرضية التي يصعب علاجها في مراكز الرعاية الصحية الأولية تحال الى المستشفى. في حين تغطي هذه المراكز حوالي ٨٥ في المائة من احتياجات السكان المرضية. وهنا نجد بعض التناقض على مستوى العالم. فالمستشفى يحظى بحوالي ٨٠ الى ٨٥ في المائة من الامكانات البشرية والآلات والمعدات والميزانية. في حين لا تحظى مراكز الرعاية الصحية الا بقدر يسير من هذه المخصصات. والسؤال هو كيف نقوم الآن باعادة التوزيع الذي قد يتطلب سنوات. وكيف نضمن في الوقت الحاضر أن يسهم المستشفى. بامكاناته الضخمة وبطاقاته

البشرية من اختصاصيين وفنيين، في الرعاية الصحية الأولية التي هي شغل الجميع؟ فالمستشفى يستطيع أن يساعد في زيادة تدريس العاملين في الرعاية الصحية الأولية شريطة أن لا يحيلهم الى علاجيين، وان يجري الأبحاث الطبية وينشيء قسما للرعاية الصحية الأولية بهدف التوعية.

— **د. مازن الزبدة**: اعادة توزيع المخصصات أمر ضروري جدا كما ذكر د. زهير، وأضرب مثلا المستشفى الحكومي عيادة أمراض النساء القسم الجامعي حيث أقوم في المستشفى بمتابعة حالات الحوامل. ويراجع المستشفى يوميا حوالي ٥٠٠ مريض. ومن بين الحوامل اللواتي يراجعن المستشفى هناك ١٠ أو ١٥ حاملا بحاجة الى مراجعة الاخصائي، والقسم الباقي يتولى طبيب الرعاية الصحية الأولية تقديم العلاج لهن. وقد قامت الجامعة مؤخرا بتعيين بعض الاخصائيين في المراكز الصحية للمشاركة في تقدم خبرة الاخصائيين مع أطباء الرعاية الصحية الأولية، لأن الجامعة تريد أن يكون لدى المواطن الثقة بمراكز الرعاية الصحية الأولية فيقبل عليها دون تردد.

— **د. محمد المحرج**: أود أن أوضح أن التوعية الصحية في المستشفيات أمر ضروري جدا، وان التوعية داخل المستشفيات يكون لها الأثر الأفضل في تفهم المراجعين للرعاية الصحية وأثرها على الصحة العامة.

القافلة: احيانا يراجع مريض المستشفى مرارا للمعالجة لكنه يفاجأ باستفحال مرضه فكيف نفسر هذا الوضع بالنسبة للمستشفى أو الطبيب المعالج؟

— **د. اسامة عبدالرازق**: طبيعة المرض أو سبل العلاج اللازمة له تختلف من مرض الى آخر، اضافة الى توقيت الزيارة وعلاقتها بالمرض. فمثلا، لو راجع مريض مصاب بالتهاب في العظام الطبيب المختص في بداية المرض وأخذ العلاج المفروض لامكن السيطرة على المرض ومن ثم الشفاء منه، ولما احتاج الى مراجعة الطبيب مرة أخرى. اما اذا راجع الطبيب متأخرا فان المرض يكون قد استفحل أمره وظهرت له مضاعفات أخرى.

— **د. عبدالله الغامدي**: هناك ثلاثة أمور رئيسية لتأخر تشخيص مرض ما، الأمر الأول هو سوء الاتصال بين المريض والطبيب. فاذا كان المريض غير قادر على اعطاء الطبيب فكرة عامة عن شكواه، فان الطبيب لا يستطيع تشخيص حالته بسهولة. والأمر الثاني هو عدم اعطاء الطبيب الوقت الكافي للتحدث الى المريض وأخذ المعلومات الطبية اللازمة عن شكواه أما الأمر الثالث فهو عدم توفر الامكانات الكافية من أدوات ومعدات تشخيصية ومختبرية واشعاعية للطبيب. من هنا نرى اننا لا نستطيع القاء اللوم على الطبيب وحده، فهو يرى حوالي مائة مريض في اليوم، ولا على المستشفى، فهناك أكثر من سبب لتأخر تشخيص بعض الحالات.



الاستاذ يعقوب يوسف سلام.

— **د. زهير السباعي**: كيف ترى يا د. محمد امكانية الطبيب في مركز الرعاية الصحية الأولية؟ ألا ترى أن من المفروض أن تعطى الجوانب العلاجية والوقائية والتطويرية حقها؟ وكيف يستطيع اداء دوره وهو يرى مائة مريض يوميا!

— **د. محمد المحرج**: هذا صحيح، فالطبيب يرى في حدود مائة مريض لكننا نأمل بعد تطبيق برنامج الرعاية الصحية الأولية أن ينخفض العدد بنسبة ٣٠ في المائة كما يوجد لدينا مرضى مصابون بالوهم ونحن نركز على زيادة عدد الاطباء والممرضين حتى تكون الرعاية الصحية الأولية متوفرة للجميع.

القافلة: المعروف أن لكل منطقة امراضها الخاصة بها فهل بامكان المسؤولين عن الرعاية الصحية الأولية تغطية أو ايجاد البرامج الخاصة للوقاية منها؟

— **د. احمد نجيب صعب**: الرعاية الصحية تركز على المشاكل الصحية الشائعة، التي تعاني منها البيئة. ولذلك فان من أهم مسؤولياتها استقصاء انواع المشاكل الصحية الموجودة وتصنيفها ووضع أولويات لها حسب أهميتها وذلك عن طريق اجراء البحوث العلمية وجمع المعلومات من المراكز الصحية وعيادات الأطباء والمستشفيات تحت اشراف المسؤولين عن الصحة العامة وعلى الأطباء التبليغ عن الحالات المعدية التي يعالجونها، كما أن على المريض التبليغ عن المرض عند ظهوره وألا يتقاعس عن التبليغ عن أي مرض يشمل أفراد العائلة حتى يتمكن مركز الرعاية الصحية الأولية في منطقته من تقديم الخدمات الطبية في أسرع وقت ممكن. وهناك عدة أمثلة عن خدمات المركز على صعيد البيئة مثل حملات التلقيح ضد الأمراض المعدية وحملات مكافحة الملاريا والبلهارسيا وغيرها.

— **د. محمد المحرج**: ان تطبيق برنامج الرعاية الصحية الأولية في المنطقة سيجعل من السهل وضع الدراسات وتحديد أماكن الأمراض المستوطنة ومعرفة أسباب وجود الأمراض المعدية والقضاء عليها من جذورها، وبمساعدة المجتمع طبعا كما ذكرنا. وستكون هذه المعلومات متوفرة لدى وزارة الصحة للمساعدة في اجراء الأبحاث الخاصة لوضع الخطط الصحية المستقبلية حيث سيكون الاعتماد في الأبحاث على أرقام حقيقية وليست تخمينية أو تقديرية. وبرنامج الرعاية الصحية الأولية حسب مفهوم وزارة الصحة حاليا والذي تسعى لتطبيقه فيه فوائد جمة سيجنيها المجتمع.

القافلة: ما هو اختصاص اقسام الرعاية الصحية الأولية في المستشفيات والمستوصفات هذا ان وجدت؟

— **د. مازن الزبدة**: يوجد مثل هذه الأقسام في المستشفيات الجامعية ومستشفيات ارامكو والحرس الوطني. وتقوم هذه الأقسام، بالتعاون مع مراكز الرعاية الصحية الأولية، بتدريب أطباء ما بعد الحصول على بكالوريوس الطب ليكونوا أكفاء وعلى مستوى عال من الخبرة لتقديم الخدمات الصحية للمجتمع. كما تقوم بتحديد الحالة التي تحتاج الى خبرة الاختصاصي في المستشفى، وكذلك بالتشخيص والعلاج لحوالي ٨٥ في المائة من المرضى.

القافلة: كيف يمكن لمراكز الرعاية الصحية أن تسهم في توعية المواطنين صحيا وهل هي بديل للمستشفيات أم لتخفيف الضغط عنها؟

— **د. زهير السباعي**: السؤال ذو شقين، الأول باختصار، هناك في الحقيقة أكثر من طريق للاسهام في توعية المواطنين صحيا عن طريق الندوات والزيارات الصحية، وهناك التثقيف الصحي من خلال المدرسة ومن خلال المسجد وقد تبدو جميعها هامة. ولعل أفضل هذه الوسائل هي دعوة المواطن للمشاركة في تنفيذ البرامج الصحية. فمثلا، عندما كنا نخرج الى الحقل مع طلبة الطب، كنا نأخذ معنا أفلاما عن مرض ما ونأتي الى المدرسة وندرب المشرف الاجتماعي على عرض الفيلم وشرحه للتلاميذ كما أحضرنا فيلما عن البلهارسيا، وطلبت من اخصائية التثقيف الصحي أن تبحث عن امرأة شبه متعلمة وتشرح لها بأسلوب مبسط وقائع الفيلم وكيف أن البلهارسيا تصيب الانسان اذا خاض أو سبح في الماء، وكيف تنتقل العدوى الى جسمه. وأنا متأكد من أن هذه السيدة أو «الداية»، ستكون بما لها من اختلاط مع سيدات المجتمع، قادرة على أن تنقل لهن الرسالة الصحية وتحثهن في الوقت نفسه على تطعيم اولادهن وستكون كلمتها مسموعة. الشق الثاني من السؤال، هل هي بديل للمستشفيات أم لتخفيف الضغط عنها، انها ليست هذا ولا ذاك، فهي ليست بديلا للمستشفيات لأنها تعنى بالانسان وليس فقط بالمريض وهي، أيضا ليست لتخفيف الضغط عنها وانما لها كيان قائم بذاته يؤدي عمله بشكل تام ومتكامل □

تصوير: عبدالله دبيس

عليه ونراه»[١٢]. وهكذا لن يكتفي العلم والتكنولوجيا، بأن يكونا غاية لذاتيها، كما هو التقليد السائد لدى الغرب منذ عصر النهضة. ان مرض الحضارة الغربية، هذا المسمى بـ«الحداثة» أو «العصرية» ليس الا قلبا للعلاقة القائمة بين الوسائل والغايات رأسا على عقب، وقد أصبحت الوسائل في المنظور الغربي غاية لذاتها.

فلسفة الكشف والالهام:

أصبحت القضية الاساسية في الفلسفة الغربية، تتلخص في السؤال القائل: كيف يمكن للمعرفة أن تتحقق؟ والقضية الاساسية في الفلسفة الاسلامية، يوجزها سؤال يقول: كيف يمكن للتنبؤ أو «الكشف» أن يتحقق؟ ونحن ماذا نختار؟ فلسفة نقدية أم فلسفة تنبؤية؟

لقد جاء القران برؤية جديدة عن الله والكون، كما جاء بدستور للعمل والحياة. لا يلتقي أبدا بالفلسفة اليونانية. وقد طرحت تعاليم القرآن ثلاث قضايا جديدة كل الجدة:

أولا: ما يتصل بمفهوم «الحقيقي»، والنظرة اليه. وبتعبير آخر: ما الحقيقي الذي لا يعلو عليه شيء؟ ان هذه القضية تعني أنه ما من شيء يمكن أن يرى على حقيقته الا مع الله. وبأن الله يرى في كل شيء. وان هذا «التوحيد» هو المنطلق الأول في التسليم بالاسلام «لا اله إلا الله» وهو جوهر الفلسفة الاسلامية.

ثانيا: دستور الحياة والعمل ينجم من تلك الرؤية الاسلامية.

ان العمل وقانونه هما المظهر الخارجي للايمان لدى المسلم. فالايمان داخلي والقانون خارجي ولا محل للتعارض أو التقابل فيما بينهما. والانسان بايمانه يستطيع التوجه بحرية الى خالقه. وهذا التوجه لدى الحجر والنبات والحيوان فطرة طبيعية . قال الله تعالى: ﴿**ألم تر ان الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون**﴾[١٣]. وقال تعالى: ﴿**انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا**﴾[١٤]. فهل يستطيع الانسان الذي قبل ذلك «الحلف» الباهظ أن يشرح هذا الميثاق المتعلق بحريته؟

ثالثا: يقول ابن حزم الاندلسي (**٩٩٤ — ١٠٦٣م**) في معرض الحديث عن «المزاعم الخاصة بالبراهين على وجود الله»: (لا يمكن البرهان على وجود الله بالحجج الكلامية. فنحن نؤمن بوجود الله لأن هناك حججا يعجز الانسان عن ايجادها). ولعل في هذا فاتحة لكل التأملات المتعلقة بالله. وعلى رأسها قضية الحضور الدائم لشيء ما في الانسان، يعجز عن خلقه بنفسه.

بعد ذلك يستعرض «جارودي» الفلسفة الاسلامية، منذ بدايتها فيتحدث عن الكندي والفارابي والرازي وابن سينا والسهروردي والغزالي وابن رشد وابن طفيل وابن عربي.

كل الفنون تصب في المسجد:

إن الفن الاسلامي الذي قدم ما قدم للفن العالمي، والذي أسهم ذلك الاسهام الرائع بغية بناء مستقبل لجميع أبناء البشرية. ان هذا الفن لا يمكن فهمه، شأنه شأن العلوم والحياة الاجتماعية والفلسفة، الا انطلاقا من المبدأ الاساسي، مبدأ العقيدة الاسلامية. ويقول «جارودي»: «وانا شخصيا حينما أرى روائع الفن الاسلامي احس بأن (رجلا) واحداً قد قام ببنائها مدفوعا بدافع ايمانه بإله واحد. من الجامع الكبير في قرطبة الى فسيفساء المساجد في تلمسان وفي جامع القرويين بفاس وجامع ابن طولون في القاهرة الى مساجد استانبول الفخمة. ومن قباب اصفهان الساحرة الى المئذنة البسيطة الجبارة في سامراء، الى ضريح تيمورلنك في سمرقند، الى ضريح «تاج محل» الخلاب. ومن قصر الحمراء بغرناطة الى قصور وروائع أصفهان. ان الفن الاسلامي يعبر عن رؤية للعالم، توحي في الوقت نفسه بوظيفته وموضوعاته ووسائله التشكيلية وأساليبه المعمارية»[١٥].

ولقد قيل: ان جميع الفنون في الاسلام، تصب في المسجد، والمسجد يدعو الى العبادة.

شعر الاستشراف والتشوف:

ان الأدب الاسلامي، الذي كان في معظمه شعرا، منذ نشأته حتى القرن العشرين، هو أساسه أدب نبوئي يستوحي القرآن. وما يعنينا هنا ليس تاريخ هذا الأدب، وانما مضمونه العام. وما أعطاه على مدى عشرة قرون، وما سيسهم فيه بنهضته الجديدة في القرن العشرين، على صعيد بناء مستقبل جديد.

ويتحدث «جارودي» عن «المعلقات» في العصر الجاهلي، وعن الشعر الاسلامي، ويصنف «ابا نواس» و«عمر الخيام» خارج التيار الرئيسي لهذا الشعر، ثم يعتبر أن المرحلة الممتدة من القرن التاسع الميلادي حتى القرن الخامس عشر، هي مرحلة كلاسيكية للشعر الاسلامي اذ شهدت سيادة الشعر الصوفي، الذي يستوحي القرآن ويستلهمه. ويعود «جارودي» بنا من جديد، ليتحدث عن شعراء التصوف، فيذكر: جلال الدين الرومي، والجامي، وفريد الدين العطار، وسعدي الشيرازي، وحافظ الشيرازي، ثم يشير الى أثر مضامين شعر هؤلاء في أدب الغرب، فيقول: «نعم.. لقد استمد الغرب غذاءه الرومنسي، من شعراء الشرق بدءا بـ(غوته) في ديوانه «الغربي — الشرقي»، اذ يقر بما يدين به لحافظ الشيرازي، ومارسيلين ديسبور — فالمور، التي تعالج موضوع «بستان الورد» لسعدي الشيرازي، وتبرز ما فيه من أبعاد صوفية.. وانتهاء بـ«اراغون» في «مجنون ايلزا»، الذي يرجع أصداء قصيدة الجامي، مقرا بما أوحى اليه هذا الشاعر الفارسي»[١٦].

ويستعرض «جارودي» الشعر العربي الحديث، فيتحدث عن مدارسه، كمدرسة «الديوان» وجماعة «ابولو» والشعر المعاصر وولادة الشعر الفلسطيني. ويعتبر أن الشعر العربي الاسلامي المعاصر، قد طرح قضايا ومشكلات تاريخية وسياسية، قبل أن يطرحها التاريخ وتطرحها السياسة، وبأنه قبل أي وصف، هو شعر النبوءة والكشف.

الخاتمة:

ان كتاب «ما يعد به الاسلام» ليس كتابا في التاريخ، بل هو معايشة جديدة للاسلام عن كثب، يحاول به «روجيه جارودي» وضع الحل العملي لمشكلات الحضارة الغربية القلقة، ويؤكد على ابراز الاسلام كقوة حية، يمكن أن تسهم في خلق مستقبل مشرق، وان العقبة الرئيسية التي تعترض سبيل هذا التوجه، هي تلك «النظرة» التي ينظر بها الغرب الى الاسلام منذ أكثر من ألف عام، وهي نظرة الخوف.

وإنها لفرصة تاريخية للاسلام اليوم، كي يدلل على أن عقيدته وما لها من غايات، هي الحل لهواجس وهموم عالم أدى به نمط التنمية الغربية الى الانحلال الاقتصادي والسياسي والخلقي، ولقد أعطى الاسلام منذ نشأته، وفي أوج ازدهاره، الحلول المنشودة لانحطاط الامبراطوريات وانحلالها.

لقد أبدع «جارودي» في حديثه عن الصوفية، ولكن في فصل: «شعر الاستشراف والتشوف»، عاد ثانية ليتحدث عن الصوفية والشعر الصوفي، ورغم أن الشعر الصوفي يشكل جانبا كبيرا من الشعر العربي — الاسلامي، الا أن هذا الجانب الأكبر من هذا الشعر ليس صوفيا، وهذا لم يتعرض له «جارودي». فالشعراء أمثال المتنبي، وأبي تمام، والبحتري، وابن الرومي، وابي العلاء المعري، لم يكونوا شعراء صوفيين، ولكنهم يمثلون قمم أعمدة الشعر العربي. والمفترض أن يتحدث عنهم «جارودي» في كتابه.

والحقيقة أن هذا الكتاب، يمثل دعوة لاقامة الحوار البناء بين الحضارات، من أجل بناء حضارة انسانية متكاملة، بعيدة عن هيمنة حضارة الغرب، ويمكن للاسلام أن يسهم اسهاما كبيرا في اثراء هذه الحضارة، اذا ما نظرنا الى العالم نظرة كلية متكاملة، لا نظرة غربية ضيقة. ولعل هذه الدعوة المخلصة من المفكر الفرنسي «روجيه جارودي» تنصف حضارتنا العربية — الاسلامية، وتكشف عن دورها الكبير في تأسيس الحضارة الانسانية، وتفتح ملف الحوار بين الحضارات □

(١٢) ما يعد به الاسلام — ص/١٤٢.

(١٣) سورة النور، الآية ٤١.

(١٤) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(١٥) ما يعد به الاسلام — ص/١٨٣.

(١٦) المرجع السابق — ص/٢١٣.

كتب مهداة



* «في موكب الضياء»: ديوان شعري للشاعر أبي زيد ابراهيم سيد صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي، ويضم ٣٧ قصيدة وملحمة قصيرة تناول فيها الشاعر السيرة النبوية المعطرة. وقد عالج الشاعر في قصائده السبع والثلاثين مواضيع دينية واجتماعية وثقافية ووطنية بشعر عمودي سلس التزم فيه الشاعر البحور الخليلية. وهذا الديوان يحمل الرقم ٢١ من بين منشورات النادي.

* «المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة»: تأليف الاستاذ عبدالسلام هاشم حافظ، كتاب صدر مؤخرا عن نادي المدينة المنورة الأدبي، وقد تناول المؤلف في كتابه مدينة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه منذ بداية تكوينها ثم عرض لاسمائها ومكانتها ومعالمها ومآثرها. كما تحدث بشيء من التفصيل عن الهجرة النبوية المباركة وأثرها على هذه المدينة، تلى ذلك حديثه عن مساجدها، تعرض المؤلف أيضا بشيء من الايجاز لسيرة الخلفاء الراشدين فيها، ثم ختم كتابه بالحديث عن أحداث المدينة وأعلامها منذ القرن الأول للهجرة وحتى عصرنا الحديث. الكتاب من القطع المتوسط ويضم ٢١٦ صفحة.

* ست وثلاثون قصيدة للشاعر شريف قاسم ضمها ديوان «صدى... وذكرى» الذي صدر مؤخرا عن دار عمار بالأردن، وقد تناول الشاعر في هذه القصائد هموم الذات والأمة بالاضافة الى مواضيع الوصف والاخوانيات والمناسبات العامة. وقد اتبع الشاعر في ديوانه العروض الخليلية في قصائد عمودية جميلة.

* في كتاب مدعم بالصور الملونة الجميلة والرسومات التوضيحية تناول المهندس حاتم عمر طه الفنون المعمارية في المدينة المنورة قديما وحديثا، حيث صدر له مؤخرا عن نادي المدينة المنورة الأدبي كتاب بعنوان «طيبة وفنها الرفيع» تناول فيه مؤلفه بشكل موجز تاريخ هذه المدينة العريقة وموقعها ومناخها ثم تحدث في الباب الثاني منه عن المسجد النبوي الشريف على مر العصور مركزا على الجانب المعماري فيه والزيادات التي أدخلت عليه، ثم تحدث عن أسوار المدينة والتخطيط الحضري لها، والرواشين والمشربيات التي اشتهرت بها منازلها وما تضمنته عمارتها من زخارف ونقوش. والصور الملونة والرسوم التي ضمها الكتاب احتلت الجزء الأكبر منه لتغني عن الكثير من الحديث والوصف اللغوي.

* «غزوة بدر الكبرى» هو عنوان الكتاب الذي صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي للشريف ابراهيم العياشي، والذي تناول فيه المؤلف موقع منطقة بدر وجبالها واوديتها والنشاط الزراعي والتجاري فيها ومساجدها وسكانها كل ذلك في مقدمة مهد فيها للحديث عن «غزوة بدر الكبرى» التي غيرت وجه التاريخ وكانت النافذة التي أطل منها الاسلام على العالم ليعم نوره كافة الأرجاء.

تناول المؤلف في فصول الكتاب اللاحقة بتفاصيل دقيقة تلك الغزوة واحداثها ورجالاتها وتأثيرها على سير الأحداث بين المسلمين والمشركين، ثم تحدث بشيء من التفصيل — في الفصل الرابع — عن يوم الفرقان. وختم كتابه بالحديث عن مكة في أعقاب بدر.

* «الشعر الحديث في الحجاز» تأليف عبدالرحيم ابو بكر، ومن منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي. والكتاب يضم رسالة قدمها المؤلف الى كلية الآداب بجامعة القاهرة نال على أثرها درجة الماجستير في الآداب. وتتحدث عن الشعر الحديث في الحجاز للفترة الممتدة من ١٩١٦م حتى ١٩٤٨م، وهي فترة اليقظة العربية ضد السلطة العثمانية حتى اعقاب الحرب العالمية الثانية. ويحتوي الكتاب على ٢٤٦ صفحة من القطع المتوسط، عدا المراجع والفهرست.

* ضمن اصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي لعام ١٤٠٣هـ، كتاب «صور وذكريات» من تأليف السيد عثمان حافظ. ويقع الكتاب في أكثر من ٣٠٠ صفحة متوسطة الحجم، ومذيل بفهرست للمواضيع. والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات بعضها قريب العهد وبعضها قديم، تتحدث عن المرحلة الحضارية التي تعيشها المملكة، بالاضافة الى ذكريات وخواطر للمؤلف.

* أصدر نادي المدينة المنورة الأدبي نشرة دورية عن الحفل المسرحي الثقافي لعام ١٣٩٦. وقد حفلت النشرة بقصائد مختلفة المضامين، وتمثيليات ومسرحية وأقوال من الصحف، والواقع أن هذه النشرة تعطي فكرة مقتضبة عن نشاط النادي في تلك الفترة.

* «مبضع الجراح»، كتاب يشتمل على بحوث اجتماعية يتركز معظمها على العلاقة بين الرجل والمرأة، وتباين النظرة اليها بين موازين



الشريعة، ودوافع الفطرة، وبين ما اتجهنا اليه بتأثير من مواضع السلوك الاجتماعي، ومفاهيم الحرية في العصر الحديث. وجاء الكتاب في أحد عشر فصلا بلغت صفحاتها ٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط، وهو من تأليف الراحل ابراهيم بن علي العياشي، ونشر نادي المدينة المنورة الأدبي.

* ابو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، له «هموم عربية في البيئة والثقافة والحضارة». وهذا الكتاب جزء من سلسلة أسفار تحت عنوان «الفنون الصغرى». وقد اشتمل على مقالات متفرقة: أدبية واجتماعية وتاريخية وبحوث شرعية. يمكننا ايجاز مثل هذه المقالات في (هموم العربية للمثقف العربي). والكتاب أصدره نادي المدينة المنورة الأدبي في طبعته الأولى عام ١٤٠٢هـ.

أهدى نادي المدينة المنورة الأدبي «القافلة». ثلاثة مؤلفات متنوعة من تأليف السيد محمد الصالح البليهشي، هي على التوالي:

* «المدينة المنورة» وهو كتاب وصفي تاريخي اعلامي عن المدينة المنورة كما هي اليوم، وما شهدته من تطورات في جميع المجالات التعليمية والادارية، والعمرانية والاجتماعية وغيرها. مع نبذة عن تطور عمارة المسجد النبوي الشريف. والكتاب يقع في ٣٤٦ صفحة من القطع المتوسط.

* «حروف في الرماد» مجموعة قصصية، كتبت في أزمان متفرقة. وتحت ظروف متباينة. وفيها القصص التاريخية، والقصص الاجتماعية، وأسلوب الكاتب يمتاز بالعفوية والبساطة، وقد جرى نشرها سابقا في الصحف المحلية. وتقع هذه المجموعة في ١٦٢ صفحة من القطع المتوسط، وتتكون من ١٧ قصة قصيرة.

* «لمحات عن حياة الربيع» كتاب يستعرض حياة شخصية مرموقة في المدينة المنورة هو الراحل عبدالعزيز الربيع، أحد بناة النهضة التعليمية والأدبية فيها وله عدة مؤلفات في التربية والأدب. ويقع الكتاب في ٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط.

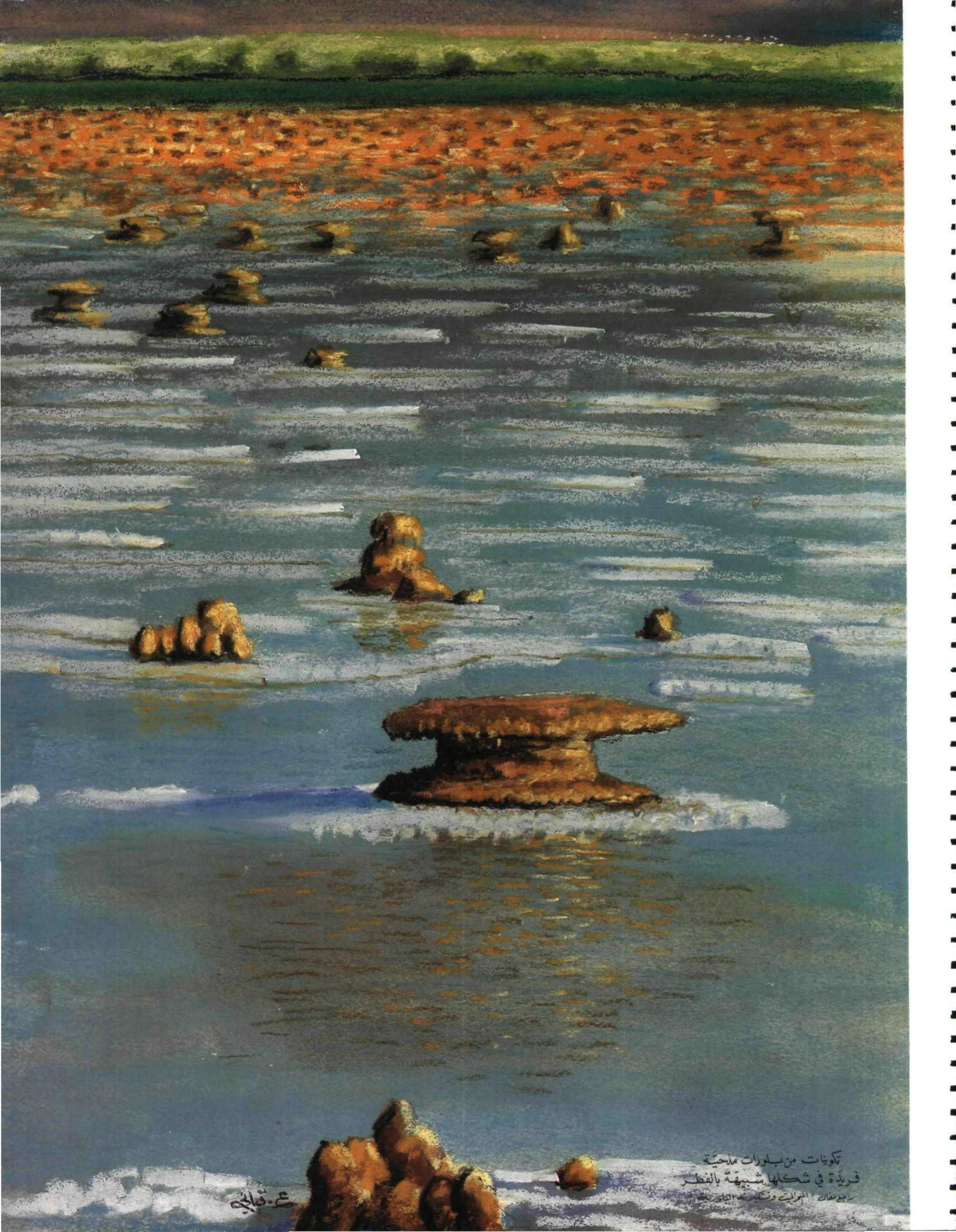
* «الفيصليات» ديوان شعر من تأليف السيد/ عبدالحميد ربيع، من جمهورية مصر العربية، وهو عضو في نادي المدينة المنورة. ويتناول قسم من هذا الديوان جانبا من شخصية الراحل، الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وقد أتى هذا الشعر استجابة للتجربة المتكاملة التي عاشها الشاعر، حيث تفاعل مع هذه الشخصية الكبيرة على المستوى المحلي والعربي والدولي. بالاضافة الى قصائد قالها الشاعر في مناسبات مختلفة. ويقع الديوان في ١٩٦ صفحة من القطع المتوسط، وهو من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

* «الموجب والسالب في الصحافة العربية» للأستاذ، ياسر الفهد، يلقي هذا الكتاب الأضواء على الجانبين الايجابي المشرق، والسلبي المعتم، في الصحافة العربية، مشجعا الاتجاهات والممارسات السليمة، وناقدا الضارة، ومقترحا الوسائل العلمية لتطوير العمل الصحفي. كما أنه يتناول بالتعريف والتوثيق والتقييم، كثيرا من المجلات العربية ويقارن بينها. ويقع الكتاب في ٢٣٠ صفحة من القطع المتوسط، وهو من اصدارات مطابع الف باء — الاديب، دمشق — سوريا.

* «المجلة الثقافية»، وهي مجلة فصلية ثقافية تصدر عن الجامعة الأردنية، بعمان. وتشمل ابواب المجلة موضوعات شتى منها ما يتعلق بالجانب الثقافي (كالمقالات والدراسات، والقصص القصيرة، والشعر والوجدانيات، والنقد) وكذلك ما يتعلق بالجانب العلمي والذي سوف تعمل المجلة على تطويره وتعزيزه مستقبلا. وبصدور هذا العدد الذي يحمل رقم ٨، تستعد المجلة لاستقبال عامها الثالث، وهي تقع في ٢٦٤ صفحة من القطع المتوسط.

* «بحوث في الاقتصاد والادارة»، من اصدارات مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، وهي بحوث دورية تختص بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف مجالات الاقتصاد والادارة تصدرها كلية الاقتصاد والادارة. وتقع في ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط. وبها ملحق باللغة الانجليزية، يتناول نفس الموضوعات.

* «الحياة في ظل العقيدة الاسلامية»، من تأليف، زيد بن محمد بن هادي المدخلي، وهو كتاب يشتمل على تبيان أهمية العقيدة الاسلامية في حياة البشرية، وعلى الحياة في ظل هذه العقيدة الخالدة. كما يتطرق المؤلف الى أسس العقيدة الاسلامية، ومقومات النصر للعاملين بها، وبأهدافها السامية. ويقع الكتاب في ١٠٩ صفحات من القطع الصغير، وهو من منشورات نادي جيزان الأدبي □



تكوينات من بلورات ملحيَّة
فريدَة في شكلها شبيهَة بالفطر
راجع مقال "الموالح وتشكيلاتها البلورية"



جانب من ورشة الكهرباء في مركز التدريب المهني بالدمام

راجع مقال "مراكز التدريب المهني بالدمام"